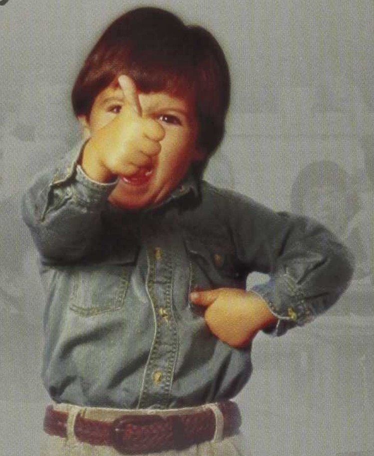
سلسلة فن الحياة

د. سامية حسن الساعاتي

مشكلات أطفالنا

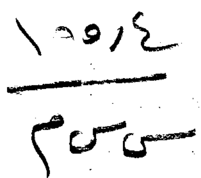
ماذا نعرف عنها؟



- شرود أطفالنا، له اكثر من سبب.
- أطفالنا، والأسئلة المحيرة.
- شخصية أطفالنا، كيف ننميها.
- احتياجات أطفالنا،ماذا نعرف عنها.
- لماذا يكذب أطفالنا..؟
- أطفالنا، والخوف.
- مرحلة الحضانة وأهميتها.
- قيمة اللعب عند أطفالنا.
- أطفالنا، ونمط الاستهلاك.
- كيف نعلم أطفالنا، الحب.




مشكلات أطفالنا
ماذا نعرف عنها ؟





مشكلات أطفالنا ماذا نعرف عنها ؟

د. سامية حسن الساعاتى

الناشر
الدار المصرية السعودية
للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة

اســم الكتاب: مشكلات أطفالنا. ماذا نعرف عنها؟

اسـم المؤلـف : د. سامية حسن الساعاتى

سنـة النشـــر : 2006م

رقـم الإيـداع : 2628 / 2006 م

الترقيم الدولي : 6 - 87 - 6122 - 977

النـاشــــر

الدار المصرية السعودية

للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة

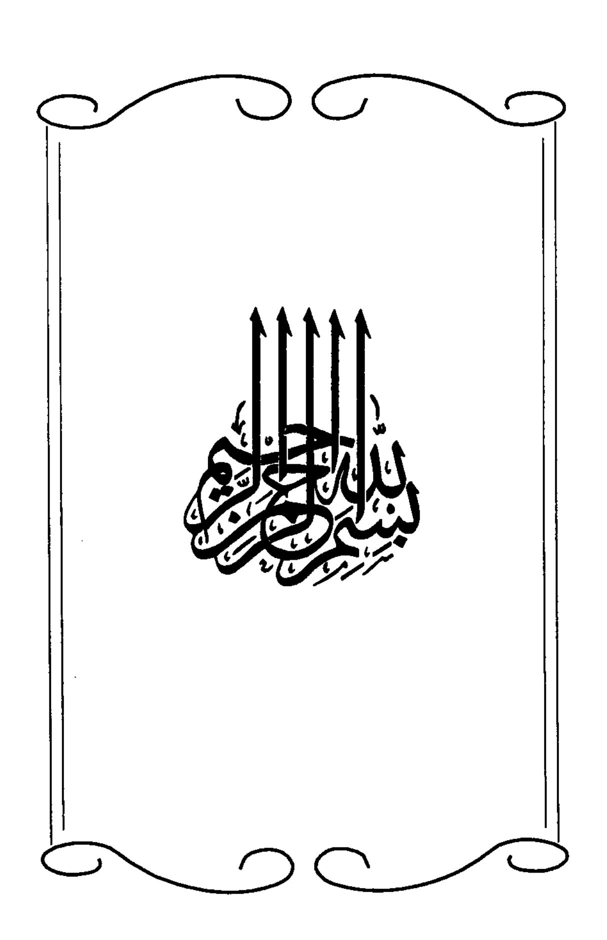
E-Mail: egysaudi@link.net

الإدارة : (16) عمــــارات العــــبور شـــارع صــــلاح ســــالم

الدور الثالث – مدينة نصر – القاهرة

تليفاكـــــس : 02/2621365

محمــــــول : 012/3171744 ـ 012/3171722 ـ 012/3140315


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لعل أعقد الظواهر المتعلقة بالطفل، في السنوات الست الأولى من عمره، هي تلك الخاصة بتربيته، وتنشئته الاجتماعية وشخصنته أي نقل التراث الاجتماعي إليه وتَمثّله عناصر الثقافة السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه في رعاية أسرته، ووسط مجموعة أقرانه، وثُلة أصدقائه، وجماعة الحي الذي يتنقل في طرقاته، ثم الهيئات الأخرى التي يندمج فيها، ويتقابل مع أفرادها.

والهدف من هذا الكتاب، هو توضيح الحقيقة التي لا جدال فيها، وهي أن الطفولة هي صانعة المستقبل، وأن العناية بالأطفال في السنوات الست الأولى من عمرهم، تُكون القاعدة الوطيدة التي يقوم عليها صرح نشأتهم السليمة في مراحل نموهم التالية.

ويحتاج الطفل في تدرجه في نموه، إلى إشباع حاجات أساسية جسمية، وعقلية، ووجدانية، واجتماعية، وتوفر له الأسرة، وبخاصة الأم، ما يشبع له حاجاته هذه بالقدر الذى تستطيعه، ويكون فى حدود طاقتها، وإمكاناتها.

وتربية الطفل على أسس سليمة فى ضوء ما أسفرت عنه بحوث النمو، وحاجات الطفل فى الست سنوات الأولى من عمره، ليست بالأمر الهيّن، وبخاصة فى عصر يسوده التغير السريع، والضغوط النفسية، والهموم الاجتماعية.

والأطفال هم مرآة المجتمع، ففيهم يستطيع المجتمع، أى مجتمع، أن يرى كيف يمكن أن تكون عليه صورته مستقبلاً، والطفل وإن كان هو ابن الرجل بيولوجيا، فإنه يُعدّ أبا الرجل من الناحية السيكولوجية، بمعنى، أن الدعامات، والقواعد الأساسية التى يبنى عليها التنظيم العام لشخصية الكبير، إنما توضع فى السنوات الأولى من حياة الصغير، لذلك يسمى البعض الست سنوات الأولى من حياة الطفل بالسنوات التكوينية.

والكتاب يعالج موضوع تنشئة الأطفال، ودور الوالدين

فى رعايتهم، وأساليب معاملتهم، وكيف نمكنهم من التغلب على بعض المشكلات التى تعترض مسار تلك التنشئة، بشكل علمى سهل ومبسط.

والله ولى التوفيق ،

سامية حسن الساعاتى

مصر الجديدة، 16 يناير 2006

الفصل الأول

أطفالنا .. والأسئلة المحيرة

في فترة ما قبل المدرسة، ينمو وعي الطفل بالانفصال والاستقلالية، فلم يعد ذلك المخلوق الذي كان يحمل على الكتف أو يحبو، إذا أراد أن ينتقل من مكان إلى آخر. بل صار الطفل الآن قادرًا على الوقوف على رجليه والتحرك بواسطتهما بدرجة كبيرة من الثقة والتلقائية. أصبح أكثر تحررًا وزادت قدرته على النشاط الإيجابي بشكل واضح .. وإلى جانب ذلك، أصبحت لديه حصيلة لغوية يستطيع عن طريقها أن يعبر عن نفسه بحرية أكثر، فبعد أن كانت كلماته في بداية هذه المرحلة لا تعدو الخمسين كلمة أو تزيد قليلاً .. تصير بعد سنة واحدة أي في سن الثالثة حوالي ألف كلمة. ولا يصل الطفل إلى سن الرابعة إلا ويكون قد سيطر تمامًا على المهارة اللغوية.

ومن خلال خبراتهم المتنوعة يكتشف الأطفال في

بداية هذه المرحلة أن الوالدين لا يعرفان دائمًا ماذا يريد أطفالهما، ولا يفهمان فى كل مرة حقيقة مشاعرهم، ولأن للأطفال اختياراتهم الخاصة، ولهم حاجاتهم التى لا يستطيع الآباء أن يستشعروها. وكأنى بالطفل بعد اكتشافه هذا بفترة وجيزة يقول لنفسه: وما الذى يجبرنى الآن على أن أظل مستكينًا اتكاليًا كما كنت فى الماضى لقد جاوزت الآن مرحلة الالتصاق وأصبح لى كيانى المستقل. فلأجرب إذن هذه القدرة الجديدة على الانفصال والاستقلالية، فلأجرب التمرد على كل ما يحول دون حصولى على إشباعاتى.

وطفل هذه المرحلة لا يكف عن الكلام والسؤال والاستفسار، حتى عندما يكون وحيدًا فإنه يتحدث إلى نفسه أو إلى الدمى التى يلعب بها .. إنه بالفعل قد أصبح ثرثارًا .. ولا يروق للأطفال عندما يتكلمون أن يهمسوا بل هم يفضلون دائمًا أن يصيحوا .. ويساعد الطفل على ذلك، النمو المذهل لقدرته على الكلام.

والأطفال فى مرحلة ما قبل المدرسة، يزجون بأنوفهم فى كل شىء .. ويتساءلون عن كل ما يحيط بهم مما يغمض

عليهم أسراره .. سواء أكان .. فى نظر الكبار.. لهم الحق فى تساؤلهم هذا أم لا .. ويساعدهم مستوى نموهم على تناول كل شيء وفتح كل مغلق وتقليب كل مجهول .. وباختصار فإن كل ما لا يعرفونه يصبح موضوعًا للتساؤل والتعرف والاستطلاع.

ومن أهم المواقف التى يريد أن يستطلعها الأطفال هو أجسامهم وأجسام أصدقائهم سواء أكانوا من نفس الجنس أم من الجنس الآخر. وقد تظهر هذه الرغبة فى ألعابهم.

فلعبة الطبيب عند طفل الرابعة والخامسة .. حيث يقوم كل من "الطبيب" والمريض بخلع ملابسه، والتعرى أمام الآخر، هى لعبة غير غريبة على أطفال هذه المرحلة .. كذلك لعبة العريس والعروس..

فإذا ما أخذنا هذه الممارسات على معناها الظاهرى .. نجد أن مثل هذا السلوك .. إنما يعتبر شواهد على نمو الرغبة الاستطلاعية لدى الأطفال فى معرفة أجسامهم والاستمتاع بها وبوظائفها .. على أن الطفل الذى يشاهده أحد والديه وهو يقوم بمثل هذه الممارسات يقع فى أزمة نفسية حقيقية .. ذلك أن الكبير الذى يصدم بعنف مما تتضمنه هذه الممارسات

من معان جنسية .. غالبًا ما يؤدى به هذا إلى إثارة الشعور بالخجل والذنب عند الطفل بشكل قوى.

ومن وجهة نظر الطفل فإن ذلك لا يعنى سوى أن نشاطًا استطلاعيًا مشروعًا قد قطعه عليه الكبير بطريقة انفعالية غير مفهومة لديه .. أما من وجهة نظر الكبير فإن ذلك لا يعنى سوى أنه قد أحبط شكلاً من أشكال اللعب غير المناسب .. الذى يمكن أن يكون ذا ضرر بالغ فيما بعد .. والذى يحمل فى طياته محرمات لا يصح للطفل أن يقترب منها .. أو حتى يفكر فيها.

ولا يقتصر الاستطلاع على مثل تلك الممارسات .. بل يظهر أيضًا فى العديد من الأسئلة التى يطرحها الطفل على والديه كالتساؤل عن الوجود والإله .. والموت والحياة .. وظواهر الطبيعة .. والجنس .. والعلاقة بين الوالدين .. ومعنى الزواج .. وغير ذلك من الموضوعات مما يعكس رغبة شديدة فى جمع المعلومات التى تساعد على إيجاد نوع من التناسق فى هذا العالم المضطرب المتغير.. والتى يساعد بالتالى على تحقيق قدر معقول من التوازن بين الطفل والبيئة التى يعيش فيها.

ومن "أين يأتى الأطفال"؟ و"ما معنى الموت"؟ "لماذا لا تقع النجوم علينا من السماء"؟ "ما معنى الزواج؟" أسئلة عميقة أو محرجة، وهى فى كلتا الحالتين مما قد يصعب على الآباء الإجابة عنها. ولكن الطفل لا يكف عن وضعها أمام أبويه ويلح فى الحصول على الإجابة عنها .. كما أنه يراجعها من وقت لآخر .. أو يعود إليها مستكملاً إجابة سبق أن أعطيت له هكذا. وتزداد الأسئلة بالطبع مع زيادة النضج العقلى .. فهى تقل عند المتخلفين عقليًا .. وتزيد عند الأعلى ذكاء .. ولا شك فى أن الإجابات التى يحصل عليها الأطفال من آبائهم .. تكون لها أهمية كبرى لا من حيث النمو المعرفى .. بل أيضًا من حيث الاتزان الانفعالى، ونمو الشخصية .. على أن استجابات الوالدين لأسئلة أطفالهم قد لا تحقق الأهداف المطلوبة فى كثير من الأحيان .. فأحيانًا ما يتجاهل الوالدان أسئلة الطفل كلية .. وأحيانًا يردان عليها بعنف .. فقد ينهرانه .. أو يصدانه ويطلبان منه أن يكف عن هذه "الثرثرة" وغالبًا ما تكون أسئلة الطفل عندئذ مما يتناول موضوعات محرجة كالموضوعات الجنسية

والدينية .. مما لا يعرف الكبير كيف يجيب عنها .. أو مما قد يثير لديه شعورًا بالقلق أو الخجل.

وفى أحيان أخرى قد يقبل الوالد الأسئلة ولكنه يجيب عنها إجابة غير معقولة كأن يجيب الآباء عن سؤال طفلهم مثلاً: "من أين أتيت أنا؟" بأنه كان فى سمكة اصطادوها وأخذوه منها. أو أنهم وجدوه إلى جوار باب المسجد وهكذا.

إن تجاهل الوالدين لأسئلة أطفالهما لما يثير غضبهم، وقد يدفع هذا الغضب الوالدين إلى عقاب أبنائهما .. كما أن الإجابة غير المعقولة لدى الطفل قد تثير لديه القلق بدلاً من الأمن .. الذى يسعى إلى الحصول عليه .. وقد تجعله ذلك يكثر من التساؤل .. فيثور الوالدان مرة أخرى.

والغريب أن كثيرًا من الأطفال لا ينتبه إلى ما تتضمنه الإجابة من معنى، بقدر اهتمامه بإجابة الكبار .. بما يطمئنه ويشعره بالأمان والاطمئنان.

والواقع أن الآباء ليس أمامهم فى كل هذه المواقف سوى أن يستجيبوا لكل تساؤلات أطفالهم .. وأن تكون

إجاباتهم بطريقة واقعية صادقة . ومبسطة تتناسب مع المستوى العقلى للطفل .. وذلك دون شعور بالحرج أو الضيق.. فالطفل فى حاجة أولاً إلى المزيد من المعرفة بالحقائق والقوانين الطبيعية .. والطفل فى حاجة ثانية إلى مزيد من الاستقرار والهدوء والأمن.

الفصل الثانى

أطفالنا .. كيف ننمى شخصياتهم ؟

أطفالنا .. زينة الحياة الدنيا .. نعمل .. ونكد .. ونتعب.. لكن هذا كله تغسله ابتسامة واحدة نراها على شفاههم . ولكنا نتساءل .. ما دورنا كأسرة من أجل تنمية شخصية أطفالنا وتوسيع مداركهم .. حتى يكونوا بحق الابتسامة الصافية .. والأمل المشرق .. زينة اليوم .. وطاقة الغد الخلاقة التى يتعدى نفعها أسرتنا الصغيرة .. إلى الأسرة الكبيرة الرحبة الممثلة فى وطننا العربى الحبيب.

إن تنمية شخصية الطفل لها جانبان .. الأول مادى يتمثل فى إشباع حاجات مادية .. والثانى معنوى يتمثل فى إشباع حاجات وجدانية أو روحية أو عقلية عند الطفل.

والمعروف أن الثقافة تبدأ بالطفل .. ولا تبدأ بالكبير .. بمعنى أن اهتمامنا بشخصية الطفل وهو صغير .. ينعكس على المجتمع بأسره .. وثقافة الطفل لها عدة مصادر .. من

أهمها الكتاب وهو يأتى فى مقدمة المصادر الثقافية المهمة بالنسبة للطفل. لأنه أقرب الوسائل الثقافية إلى نفسه.

وعملية الكتابة فى حد ذاتها تعد عملاً شاقًا .. فما بالنا لو نحن كتبنا للطفل. فقد سئل الكاتب الشهير **صمويل بيكيت**: لماذا لا تكتب للطفل. فأجاب: لأننى لم أنضج بعد.

إذن فنضج الكاتب هنا .. ليس هو المعروف لدينا بالنضجى العقلى .. بل هو القدرة على التوحد مع شخصية هذا الكائن الصغير .. والدخول بسهولة إلى عالمه الصغير الغامض والشائك .. وكتابة الكتب التى تتوافق مع شخصيته .. فى الأعمار المختلفة .. والبيئات المختلفة.

وعندما نتكلم عن الكتابة للأطفال .. فإننا نتعرض لعدد من الأسئلة .. من يكتب؟ .. ولمن يكتب؟ وماذا يكتب للطفل؟ ثم إلى أى شىء يهدف الكاتب من كتاباته؟ وما اللغة المناسبة التى نستطيع أن نقدم بها الكتاب ..؟

وفى البداية يمكن القول .. إن الكتابة موهبة تنمو وتنضج بالعلم .. والمعرفة .. وبهذا فإن كاتب الطفل .. يجب أن يجمع بين اعتبارات ثلاثة هى:

1- **اعتبارات فكرية** .. توطد العلاقة بين الكاتب والطفل.

2- **اعتبارات تربوية** .. تتعلق بالشكل الفنى للكتاب الذى يقدم للطفل.

3- **اعتبارات فنية:** تتعلق بالشكل الفنى للكتاب الذى يقدم للطفل.

وهذه إجابة على السؤال الأول .. من يكتب للطفل؟

أما لمن يكتب فإن رأى الباحثين قد استقر على أن هناك مرحلتين مهمتين للطفولة .. أولاهما مرحلة ما قبل القراءة .. والتى تبدأ من الطفولة المبكرة حتى خمس سنوات .. والمرحلة الثانية وهى التى نعرفها بمرحلة القراءة .. والتى تبدأ من ست سنوات إلى سن النضج القرائى الذى يتخصص عنده الطفل .. ويقرأ ما يريد .. وهو تقريبًا عند سن اثنى عشر عامًا.

وتتميز فترة الطفولة المبكرة .. والتى سنطلق عليها مرحلة ما قبل القراءة .. بالنمو السريع عقليًّا وجسميًّا .. بشكل سريع يتعلم فيها الطفل المشى .. وتناول الطعام .. والكلام البسيط .. والتعرف على الأشخاص والأشياء .. وكيفية استخدامها.

وكلما اتسعت مدارك الطفل فى هذه الفترة كان بعد ذلك أكثر استعدادًا للمرحلة القادمة .. وفى هذه المرحلة تكون علاقة الطفل بالكتاب علاقة خاصة ..

فالطفل حين يبلغ الشهر الخامس عشر .. تستهويه الصور الملونة .. فيقلب صفحات الكتاب .. ويصغى أحيانًا إلى الأناشيد القصيرة .. وإلى الإعلانات فى التليفزيون .. ويحاول تقليدها بلغته العاجزة .. وفى هذه المرحلة يجب أن يكون الكتاب المقدم للطفل غير قابل للتمزق .. حتى لا يمزقه الطفل.

أما عن المرحلة الثانية .. وهى مرحلة القراءة والتى تبدأ من سن السادسة .. ففيها يكتسب الطفل عادة القراءة ويبدأ فى مزج الكلمات لتكوين الجمل البسيطة .. ويبدأ فى التحول من تعلم القراءة .. إلى القراءة للتعلم .. فنجد أن الطفل فى هذه المرحلة يتعلم القراءة السريعة فتتكون فى رأسه معان كثيرة .. ومعلومات عديدة.

وهناك اعتبار مهم يجب أن ننتبه إليه إذا أردنا أن ننمى شخصية أطفالنا، وهو ألا نود أن يصبح الطفل صورة مكررة من الأب أو الأم رغم التظاهر بإعطاء الابن حرية

الاختيار.. هذا الاعتبار لا يتعلق بقدرات الطفل قدر ما يتعلق بمعتقدات الأب والأم وميولهما، بصرف النظر عن قدرات الطفل وعن المستقبل الذى ينتظره.

فهل ننظر إلى الطفل باعتباره وعاء فارغًا نملأه نحن بما يناسب تصوراتنا؟! أم أن الطفل كائن ملئ بالقدرات وعلينا أن نتيح له الفرصة لكى تتفتح هذه القدرات وتنمو طبقًا لشخصيته وإمكاناته؟!

بعض الناس يعرف ثقافة الطفل بأنها نقل ثقافة المجتمع إلى الطفل .. والبعض الآخر يقول: إن ثقافة الطفل هى تَفتُح لقدراته .. وإعطاؤه الفرصة كى تنمو ملكاته الخلاقة .. بشكل مستقل .. وأنا أرى أن نأخذ بالرأيين .. معًا.. بحيث ننقل إلى الطفل ثقافة المجتمع .. وإن نتيح له الفرصة لتفتيح قدراته، وإمكاناته .. وتنمية ملكاته.

وهنا يثور سؤال .. هل نريد أن يكون الطفل صورة كربونية منسوخة من الأب أو الأم .. أم نحاول أن نضع الطفل على عتبة الطريق التى تكتشف معها قدراته وميوله .. فيسير فى الطريق الذى يحبه ويريده؟! بحيث تكون المهمة

ليس أن يكرر المجتمع نفسه وإنما فى جعل الطفل قادرًا على مواجهة متطلبات مجتمع جديد يسود فيه العقل العلمى .. والصناعة .. وثورة تبادل المعلومات التى تملأ العالم الآن.

إننا فى العالم العربى على أعتاب هذه النظرة .. وهى إعداد شخصية الطفل لكى تنمو .. نموًا مستقلاً .. فى ضوء قدراته .. وإمكاناته .. والمسألة هنا .. فى حاجة إلى تغيير كثير من أساليب التربية .. لعل أهمها تغيير أسلوب التعليم .. الذى يعتمد فى العالم العربى .. على أسلوب التلقين .. بحيث يكون الهدف ليس فى كمية ما حفظه الطفل .. بل ما عرفه من معلومات .. حتى ولو كانت هذه المعلومات قليلة.

مفهوم الطاعة .. مثلاً يجب أن يتغير من الطاعة المطلقة .. إلى الطاعة بالمعنى الجديد .. وهى المشاركة فى الرأى بمعنى أن الطفل ينفذ ما يوحى به الأب والأم عن اقتناع .. يجب ألا يضع الأب أو الأم قائمة بالممنوعات والمسموحات .. بل يجب أن يعلم الطفل كيف يختار .. كيف يختار الكتاب .. وكيف يختار الصديق .. كيف يختار برنامج الإذاعة أو التليفزيون.

وإذا كنا نرى الآن إقبالاً على المسرحية الهابطة .. أو الأغنية الهابطة .. فهذا يعنى أننى منذ البداية لم أعلم الطفل كيف يختار العمل الجيد.

وإذا كنا نرى أن المقال التافه .. أو الكتاب السيئ .. هو الذى يروج .. فهذا أيضًا يرجع إلى أننا لم نعلم الطفل كيف يختار.

من هنا يجب أن نضع للطفل معيارًا يجعله يختار بنفسه .. ويفكر بنفسه .. ويسأل نفسه.

الفصل الثالث

مرحلة الحضانة وأهميتها

الحضانة لغة مصدر للفعل "حضن" إذ يقال حضنه، حضانة، أي "جعله فى حضنه"، وحضن الرجل الصبى، رعاه ورباه، ومن مشتقات هذا الفعل لفظ "حاضنة" أى "المرأة التى تقوم مقام الأم فى تربية الولد".

ويقابل الفعل "يحضن" باللغة الإنجليزية، الفعل To Nurse، ويعنى عدة معان منها "To Suckle" بمعنى يرضع، أو "To foster" بمعنى ينمى، أو "To Fondle" بمعنى يداعب "بحنان".

ويقابل لفظ "حاضنة" باللغة الإنجليزية كلمة "NURSE" ومعناها المرأة التى ترضع طفل غيرها أو تتعهده.

وتعرف الحضانة فى بعض المعاجم بأنها "الولاية على الطفل لتربيته وتدبير شئونه. فالتأكيد هنا على عمليتين: إحداهما التربية، والأخرى تدبير الأمور.

أما الحضانة شرعًا. فهى "حفظ الصغير ورعايته، والقيام على تربيته". وأحق الناس بالحضانة فى جميع المذاهب الأم.

وأما عن مدة الحضانة، فقد جعلها الحنابلة سبع سنوات للصبى، وللصبية على السواء. أما الحنفية، فجعلوها سبع سنوات أو تسعًا للصبى، وحددوها بتسع للصبية.

ولكن المالكية، والشافعية لم يحددوا سنًا بل جعلها الشافعية إلى زمن تمييز الولد.

والظاهر أن طول فترة الحضانة، تُقدر بناء على المشاهدات والمعاملات، التى تثبت أن الطفل قليل الخبرة، عاجز على أن يعتمد على نفسه، ضعيف الإرادة قليل الحيلة، وفى حاجة دائمة إلى من يعوله، ويرعى حاجاته العضوية، والنفسية المختلفة.

وإذا انتقلنا إلى المفهوم التربوى لكلمة الحضانة نجد أن العلماء فى الغالب يعنون بها مرحلة الطفولة الأولى، ولذلك فهم قلما يستعملونها منفردة بذاتها، بل يميلون إلى أن يضعوا قبلها كلمة مرحلة أو كلمة سنوات، فيقولون

مرحلة الحضانة أو سنوات الحضانة (nursery years)، ويقصدون بها السنوات الست الأولى من حياة الإنسان:

والواقع أن المفهومين الشرعى والتربوى لكلمة الحضانة يتقاربان كل التقارب. فكلاهما يتضمن فكرة أساسية .. هى الأهمية القصوى لمرحلة الحضانة، وحاجة الطفل الكبرى خلالها إلى العناية والرعاية التربوية من جانب الكبار..

ويبرز العلماء أهمية مرحلة الحضانة على سائر مراحل النمو الأخرى، وذلك لأسباب عدة من أهمها:

أولاً: إنها مستهل الحياة:

فتعد مرحلة الحضانة تكملة وامتداد لمرحلة الجنين .. ولذلك فهى مرحلة قبلية (foreperiod) لما يتلوها من مراحل النمو، أو بالأحرى هى أولى المراحل وبدايتها، وبناء على ذلك تكون الأساس الذى ترتكز عليه حياة الفرد من المهد إلى أن يصير كهلاً. وهناك مثل إنجليزى يقول: "إن الابتداء الحسن هو إتمام نصف العمل، وقياساً عليه فإننا إذا أحسنا تربية الطفل فى سنوات الحضانة، فكأننا قمنا

بنصف تربيته .. فإذا صلح الأساس بالتربية الرشيدة، صلح البناء، وإن حسن البداية في الحياة لخير كفيل بسلامة الفرد الصحية والنفسية وتأكيد الاهتمام بالبداية الحسنة، حقيقة من الحقائق التي تنبه إليها العلماء والفلاسفة منذ قرون مضت، ففي هذا يقول أفلاطون: "إن المخلوق نباتًا كان أو حيوانًا، مستأنسًا كان أو برياً، إذا بدأ نموه بداية جيدة فإنها تكون أهم خطوة نحو تحقيق أحسن ما تنطوي عليه طبيعته من إمكانات".

ثانيًا: إنها فترة من الفترات الحساسة (Sensitive periods)

بمعنى أنها فترة المرونة والقابلية للتعلم وتطور المهارات .. فمرحلة الطفولة فترة النشاط الأكبر والنمو العقلي الأكبر .. وينمو مخ الطفل في أسرع نمو له في السنة الأولى، ثم نقل سرعة نموه نسبيًّا وبالتدريج بعد ذلك. وهذا النمو السريع في جهاز الطفل العصبي يقترن بدرجة عجيبة من المرونة وقدرة هائلة على التعليم، وقابلية شديدة للتأثر بمختلف المؤثرات، وما يتصل بها من عوامل التربية المتعددة

وفــى هــذه "الفــترة الحساســة" تلعــب البيــئة دورًا جوهريًّا، وتكون عـاملاً جوهـريًّا فى تكوين شخصية الطفل، فـإذا توافـرت للطفل البيئة الخاصة الغنية بما يثير الانتباه ويغذى الاستطلاع، ويدفـع على النشاط، وييسر له التعبير عن قدراتــه المنبــثقة وقــواه الابــتكارية، فإنــه يسير قدمًــا فــى اكتســاب المهــارات والمعلومـات، ويـتقدم نحـو النضـج بقـوة، وبطـريقة سـهلة وطبيعـية، وبدرجـة يسـتحيل علـيه أن يصـل إليه .. بعد ذلك إذا ما انتهت الفترة الحساسة ..

وبدأ يدخل فى فترات ومراحل أخرى للنمو، وفى هذا المجـال يقـول الحكمــاء: "التعـلم فـى الصِـغَـرْ كالـنقش عـلى الحجر".

ولا شك أن مفهوم التعلم المقصود به فى هذه العبارة هو التعلم بمعناه الواسع فى اكتساب المهارات والمعلومات .. إلخ، ونعـود فـنقول: إن الطفـل الـذى يحـرم فــى أثــنـاء هـذه "الفترة الحساسة" من فرص التعليم واكتساب المهارة يكون بلا شك قد خسر كثيرًا وإلى الآن. ذلك لأن القدرات والمواهب الطبيعية إذا لم تلق ما تحتاج إليه من الرعاية الكاملة وفى الوقت المناسب، فإنها إما أن تذبل وتموت، وإما أن تظل

طفلية (infantile) وإذا صاحبها شيء من الحفظ ونمت فإنها تنمو نموًا ناقصًا مشوهًا.

ثالثا: إنها مرحلة الخبرات والانطباعات الأولى:

مرحلة الحضانة هي مرحلة الخبرات الأولى والانطباعات الأولى. وهذه الخبرات والانطباعات من الأهمية بمكان في حياة الطفل، لأنها تترك آثارها في جهازه العصبي وتظل تؤثر دائمًا، وفي نفس الاتجاه على جميع خبراته التالية. فمثلاً إذا خوف الطفل في سنواته المبكرة من الغرباء الذين يراهم قرب منزله كرجل الشرطة أو الباعة أو من شابههم فإن ذلك يغرس فيه الاتجاه إلى النفور والتهيب من الناس الذين لا يعرفهم، وإن التحليل الدقيق لكثير من الناس ذوي الشخصيات السوية والشخصيات المعتلة ليؤكد بمزيد من الوضوح على حقيقة مؤداها أن نشاطات الطفل وخبراته المبكرة تلعب دورًا في تكوين شخصيته وأخلاقه..

الفصل الرابع

الطفل بين
الأسرة والمدرسة

إذا كان المعلم على علم ودراية بخصائص مراحل النمو المختلفة وبالأسس والقواعد النظرية في تربية الطفل، فإنه يستطيع الوصول إلى فهم أفضل لطبيعة النمو الإنساني .. يمكنه من أن يفحص ويُرشِد نمو وتطور الأطفال وهو بهذا يستطيع:

1- تنمية الروح الإيجابية في الطفل التي تساعده على اكتشاف قدراته، واستعداداته لكي يتعلم ويبتكر وفقًا لتلك الاستعدادات والقدرات.

2- اكتشاف القدرة على استخدام السمع والبصر والشم ومدى استغلالها في الإصغاء والتحدث، واستخدام اللعب في تنمية القدرات اللغوية لدى الأطفال.

3- توسيع إدراك الطفل عن العالم المحيط به، وذلك عن طريق استخدام أعضائه الحسية واكتشاف مدى سلامتها فى تكوين الخبرات الحسية.

4- اكتشاف سلامة الأعضاء الجسمية، وذلك عن طريق التمارين الرياضية والصحية فى المدرسة.

5- اكتشاف النواحى العاطفية لدى الطفل، وذلك لمساعدته فى التعبير عن شعوره وإحساساته بطرق مقبولة وملائمة.

6- اكتشاف قدرات الطفل العقلية ومحاولة استغلالها عن طريق الاكتشاف والابتكار والاختيار بين البدائل.

7- تعزيز النمو الإيمانى عند الأطفال، وذلك عن طريق غرس المبادئ الدينية فيه.

8- إظهار أهمية التفاعل الاجتماعى، ومساعدة الأطفال على تكوين مواقف اجتماعية تتلاءم مع الظروف المختلفة واحترام شخصيات الآخرين، ومراعاة حقوقهم.

إن كل مدرسة فى أى مجتمع من المجتمعات ترغب فى أن تزود نظامها ببيئة مدرسية تشجع التلاميذ على أن

يستجيبوا، ويتعلموا، ويبتكروا، ولا تستطيع أن تحقق المدرسة ذلك إلا عن طريق الفهم الواضح لخصائص تكوين هؤلاء التلاميذ.

وحيث إن المدرسة مهتمة بتربية وإعداد الأطفال، فإن نظامها يجب أن يبنى على نوع من الفهم الواضح للعوامل المؤثرة فى النمو الإنسانى.

وتظهر نتائج الأبحاث التربوية أن السنوات الأولى من حياة الطفل هى المرحلة التى تمتاز بالنمو السريع سواء من الناحية العضوية الجسمية أو العقلية أو الصفات الشخصية، كما تظهر أثر البيئة المحيطة فى كل ذلك، وعلى هذا فإن ما يحدث للطفل فى هذه الفترة يرسم الملامح الأساسية لشخصيته المقبلة حيث يصبح من الصعوبة إزاحة بعض هذه الملامح مستقبلاً سواء كانت تلك الملامح سوية أو غير سوية .. وتشير تلك الدراسات إلى أن إزاحة الملامح غير السوية أكثر صعوبة من الملامح السوية فى حياة الأطفال. فالحرمان مثلاً فى سنى الطفل الأولى يعتبر كارثة فى تأثيره عليه، وقد يعوض الطفل هذا الحرمان فى سنوات متأخرة، ولكن بصعوبة فائقة، ومن المحتمل ألا يكون بصورة وافية.

كما يوضح علماء النفس أنه من الصعب تحوير خبرة أليمة وتحويلها إلى خبرات جديدة سارة. حيث يقولون: "إن الثلاث سنوات الأولى من حياة كل إنسان تعد ميلادًا آخر، لأن نوعية النفس التى يحققها الطفل فى هذه الثلاث سنوات الجوهرية هى التى سوف تؤثر بعمق فى حياته المقبلة.

ويشير علماء النفس إلى أن الأطفال الأسوياء هم الأطفال الذين حصلوا على رعاية سليمة، عكس أولئك الذين لم يحصلوا على أية رعاية أبوية وبالذات رعاية الأم. وأضافوا أن الخمس سنوات الأولى من حياة الطفل، هى مرحلة الصياغة الأساسية التى تشكل شخصية الطفل ويكون لها أثر فى حياته المقبلة وفى خبراته مع نفسه ومع المجتمع الذى يعيش فيه. وقد وضحوا أن خبرات الطفل تتضمن تعرفه على نوعيات النشاط المختلفة والتفاعلات العقلية والاجتماعية مع الأطفال والكبار، وحيث إن هذه الخبرات لها دور أساسى فى حياة الطفل لذا فإنه يجب تعزيز تلك الخبرات وتعزيز قدرة الأطفال على التعلم فى سنواتهم المبكرة من العمر.

وفى مجتمعاتنا العربية، وبخاصة النامية منها نجد أن الكبار سواء فى المنازل أو المدارس أو المجتمع بشكل عام لم يعطوا الطفل الرعاية الكافية فى السن المبكرة وقليل منهم قد يزود الطفل بفرص تربوية سليمة تساهم فى نموه النفسى. وقد أشار علماء التربية وعلم النفس إلى إمكانية تعلم الطفل وإكسابه بعض الخبرات قبل سن السادسة قد يحد من ازدهار القوى الكامنة لديهم. وينصح هؤلاء العلماء بالتربية المبكرة، لكل الأطفال ليس فقط .. لتعويضهم القصور فى ثقافتهم بل أيضًا لأنهم مستعدون فى سن الرابعة لاكتساب الخبرات المنظمة والرعاية التى تساهم فى نموهم وإعدادهم.

ومن هنا فإن تشجيع ضرورة إلحاق الأطفال بدور الحضانة ومدارس رياض الأطفال فى سن مبكرة يعد ضرورة ملحة - وخاصة فى وقتنا الحاضر - لتنمية خبرات الطفل وتلبية حاجات نموه بصورة سليمة فى المجتمعات النامية، كما أنه يجب أن نشير إلى أهمية التعاون بين الأسرة والمدرسة فى هذه المرحلة حيث لا يمكن فهم الطفل وتربيته دون أية مساهمة أو تدعيم من قبل الأسرة.

كما أنه يجب أن نوضح أننا لا نطالب بإحلال المدرسة مكان الأسرة في هذه السن المبكرة وإنما نجعل المدرسة مؤيدة لحياة الأسرة ومدعمة لها.

وذلك لعدة أمور:

1- إن التعاون بين المدرسة والحضانة أو الروضة يساعد فى تسهيل عملية اتصال خبرات الطفل الأولى من المنزل إلى المدرسة.

2- تسهيل عملية تكيف الطفل مع الجو المدرسى، وذلك عن طريق انتقال خبرات الطفل الأولى من المنزل إلى المدرسة.

3- تسهيل عملية تكيف الطفل مع الجو المدرسى فى الحضانة أو الروضة، وذلك عن طريق الانتقال التدريجى، والمركز على النشاطات الترفيهية والمسئولية التى تقوم بها الحضانة أو الروضة.

4- إن البرامج المعدة فى الحضانة أو الروضة تساهم فى نمو الطفل الكلى من الناحية الجسمية، والعقلية، والاجتماعية، والعاطفية.

5- إن برامج الحضانة والروضة تركز على النشاطات التى تتفق مع استعدادات الأطفال المختلفة.

الفصل الخامس

احتياجات أطفالنا
ماذا نعرف عنها ؟

الحاجة إلى التقبل حاجة يرضيها الحب والعطف .. ويهددها الكره والإعراض، يرضيها شعور الطفل بأنه مقبول مرغوب فيه ويهددها شعوره بأنه منبوذ أو مضطهد، أو غير مرغوب فيه. ولذلك فإن عدم إشباع هذه الحاجة، يؤدى دائمًا إلى فقدان الأمن.

فالطفل فى حاجة إلى أن يكون محبوبًا، مقبولاً مرغوبًا فيه من الوالدين ومن الآخرين. مقبولاً كما هو ولذاته، كإنسان وكطفل، بصرف النظر عن جنسه (ولد أو بنت)، ولونه وشكله، وما يحتمل أن يكون عليه من عجز أو قصور كالحول .. أو العرج. فلا يكون بذلك موضع استهجان، أو سخرية، أو موازنة، أو مقارنة. وإن صورة كل طفل عن نفسه، فى مجال نموه، مستمدة أو مشتقة من

صورته عند غيره ممن حوله، وبخاصة الحميمين إليه، القريبين من نفسه، مثل أمه وأبيه وأخوته.

ومن الأمهات والآباء من ينبذون أطفالهم نبذا صريحًا، بالقول أو بالعمل ومن مظاهر نبذ الطفل، كراهيته، أو التنكر له، أو إهماله، أو مقاطعته وخصامه أو الإسراف في تهديده وعقابه، أو تعييره والسخرية منه، أو إيثار إخوته عليه .. ويؤدى ذلك كله إلى فقدان الطفل الشعور بالأمن. فالنبذ والكره يبثان فيه روح العدوان والرغبة فى الانتقام، والحقد والعناد، والقلق. وقد لوحظ أن نبذ الطفل.. عامل مشترك فى معظم حالات الجناح عند الأطفال والشباب. وغالبًا ما يكون الطفل المنبوذ، مغرمًا باستدعاء الأنظار إليه، متلهفًا إلى العطف، يستجديه بطرق منفرة، تجعل الناس تضيق ذرعًا به.

ويكاد يجمع علماء النفس على أن تقبل الوالدين للطفل .. يؤدى إلى النمو السليم .. وأن نبذ الوالدين يؤدى إلى سوء توافقه .. والتقبل محبة أصيلة لا تترجم إلى صياح، وتلهف، وقلق، وتعاسة.

والمحبة الأصيلة هى تفهم احتياجات الطفل وتقدير قوانين نموه، وتهيئة الظروف الملائمة، لكى ينمو يتطور ويتعلم حسب قدرته .. وتوجيهه بحنان .. واحترام .. وحزم .. عندما يخطئ ومكافأته بالمدح والاستحسان عندما يتقدم.

وقد قام أحد علماء النفس بمقارنة مجموعتين من الأطفال .. إحداهما تتمتع بقبول الوالدين .. والأخرى تعانى من إهمال الوالدين ونبذهم .. فوجد أن أطفال المجموعة الأولى .. كانوا أكثر ثقة بأنفسهم .. وأكثر استقرارًا أو أميل إلى المودة .. وتكوين العلاقات الاجتماعية الطيبة. وكانوا تبعًا لصفاتهم الفردية المزاجية .. إما هادئين متزنين .. أو نشطين متحمسين .. وعلى العكس من ذلك .. كان الأطفال المنبوذون، إما مترددين مرتبكين أو قلقين متمردين أو خاملين غير مكترثين.

ومعنى قولنا إن الطفل فى حاجة إلى أن يكون مقبولاً مرضيًا عنه ممن معه، يتضمن القول بأنه فى حاجة إلى الانتمائية، وإلى أناس يعترفون به، ويبادلونه الرغبة فى الحب، وفى التواجد، والتفاعل والتواصل الإنسانى. فهو فى

حاجة إلى أسرة يتوحد معها .. ويجد فيها الحماية .. والرعاية والتعاطف .. أسرة تشعره .. بأن هناك من يلتزم مطلقًا، ويسنده دائمًا، وأنه لن يلفظ، ولن يتخلى عنه.

ويتمشى مع الحاجة إلى التقبل والانتمائية، ويتصل بهما اتصالاً وثيقًا، حاجة الطفل إلى التقدير. فهو يحب أن يشعر بأنه موضوع سرور، وإعجاب وفخر لأمه وأبيه وأسرته .. ثم لغيرهم من الناس .. كلما نما وتنقل من حلقة إلى أخرى فى سلسلة علاقاته الاجتماعية. ومعنى هذا أنه يحب أن يعامل ويعترف به ويتقبل كفرد له قيمته .. وأن جهوده ووجوده لا زمان للآخرين .. وتظهر هذه الحاجة فى رغبة الصغير فى القيام بخدمات بسيطة لغيره ممن حوله، والإسهام .. والاهتمام .. على قدر طاقته .. وبشكل فج .. فى النشاطات المنزلية .. كالكنس .. وإزالة التراب من الأثاث .. وتفريغ سلال المهملات .. وإحضار بعض الأشياء لأمه أو أبيه كلما استدعى الأمر.. أو تقديم الأشياء للضيوف والأقارب أثناء زيارتهم للأسرة (مثل تقديم الحلوى وطقاطيق السجائر) أو الخروج إلى أماكن قريبة لإحضار

شيء من جيران من سكنه .. وغير ذلك من الأعمال التي تشعره بقيمته عند أهله وعند نفسه.

وكلامنا عن حاجة الطفل إلى التقدير .. لا يتم إلا بذكر حاجته إلى النجاح .. وهي حاجة تبدو في زهوه وفخره.. إذا استطاع عمل شيء يشعر أن له قيمة .. ولذلك فهو أيضًا في حاجة لأن يكلف بأعمال .. وأن يعطى مسئولية .. في حدود استطاعته .. لأن الأعمال الصعبة التي فوق مستواه تؤدي به إلى الإخفاق .. فيشعر بالعجز .. والخيبة .. والضعف .. وييأس من مواصلة النشاط .. ويحجم عنه .. ويتهيب منه .. وفي هذا فقدان لثقته في نفسه .. وبالتالي فقدان لشعوره بالتقدير والأمن.

وكما أن الإخفاق يقود الطفل إلى مزيد من الإخفاق .. فإنه ينتهي أخيرًا بفقد الثقة في نفسه .. أما النجاح فيقوده إلى مزيد من النجاح إذ إنه سيعرف أن جهوده ستؤتي ثمارها في الحصول على نجاح شخصي وبذلك يفرح لبذل الجهد .. مما يؤدي إلى كسبه الثقة في نفسه .. والشعور بالأمن .. مما يدفعه بالتالي إلى الاسترسال في محاولة تحسين

وكسب مختلف المهارات .. فالنجاح فى أول خطوة يخطوها الطفل .. عند أول تعلم المشى .. هو الذى يدفعه إلى محاولات أخرى تساعده على التقدم فى هذا النشاط .. ومما يغذى حاجة الطفل إلى النجاح ويشبعها .. تشجيعه والثناء عليه بقدر معقول .. بحيث لا يحفز بهذا الثناء إلى مستوى أعلى وأبعد كثيرًا عن حدود قدرته .. فيخفق فى الوصول إليه.

وعندما يبدأ الطفل منذ أوائل السنة الثانية من عمره.. إلى الانتقال من مرحلة التوحد مع أمه .. واللاتمايز .. إلى التمايز التدريجى عنها .. وبمعنى أنه يبدأ يشعر بذاته وبنفسه، كشخص مستقل عنها .. ويظهر شعوره بذاته وابتهاجًا باكتشاف نفسه .. أول الأمر .. فى محاولته الأكل بنفسه .. والمشى دون مساعدة من أحد .. وكلما نما وتقدم فى العمر .. أظهر اتجاهًا بكلياته .. نحو الرغبة فى إثبات ذاته .. والحاجة الملحة لتأكيدها بمزيد من الاستقلال فى نشاطه .. وبخاصة فى أموره الشخصية .. فهو يحب أن يغسل وجهه ويديه .. وأسنانه .. ويمشط شعره بدون مساعدة .. ويحب أن يلبس ملابسه ويخلعها معتمدًا على نفسه .. كما يحب أن يعاون الكبار فى بعض النشاطات المنزلية كمساعدة والدته..

فى تنظيم المائدة مثلاً .. أو غير ذلك .. وكثيرًا ما تصل إلى رغبته فى إثبات ذاته .. وحاجته إلى تأكيد الشعور بقدرته واستطاعته إلى حد المقاومة وعناد الكبار والانفجار فى الغضب والبكاء.

والحاجة إلى الاستقلال .. شديدة الاتصال بالحاجة إلى تأكيد .. فتأكيد الذات لا يتحقق بصورة كاملة سوية .. إلا بالاستقلال الذى يتاح للطفل خلال فترات نموه المختلفة.. والحاجة إلى الاستقلال مرادفة للحاجة إلى الاعتماد على النفس .. أو الحاجة إلى الحرية .. وأول استقلال ظاهر للطفل هو انفصاله الجزئى عن أمه .. منذ أن تشرع فى فطامه تدريجيًّا عنها .. ويمكننا أن ننظر إلى نمو الطفل .. على أنه سلسلة من مراتب استقلالية .. تتحقق كل منها باتساع الدائرة التى يعيش فيها .. فالطفل يستقل عن أمه استقلالاً جزئيًا ليتصل بباقى أفراد الأسرة .. ويساعده على ذلك المشى والكلام .. ثم يستقل استقلالاً جزئيًا عن أفراد الأسرة .. ليتصل اتصالاً جزئيًا برفاقه فى المدرسة وهذه الخطوات متصلة .. وتحقيق الاستقلال فى كل خطوة منها وإشباع متوقف على تحقيقه فى الخطوة السابقة.

وحاجة الطفل إلى الاستقلال والحرية متمشية مع نموه .. ومطالب تطوره الجسمى .. والعقلى .. والوجدانى والاجتماعى .. فهو فى حاجة لحرية المشى والكلام والجرى .. والتسلق والحفر.. والهدف .. والبناء .. وفى حاجة إلى اللعب بكل مظاهره .. كاللعب بالأشياء واللعب مع الأطفال والكبار.. فعن طريق اللعب بالأشياء .. ومع الناس .. يتعلم الاعتماد على النفس .. ويكتسب الثقة فيها .. ويزيد أمنه .. واطمئنانه .. إلى العالم الذى يعيش فيه.

الفصل السادس

شرود أطفالنا
له أكثر من سبب

تَشتكى كثير من الأمهات .. من أن أولادهن .. يشردون فى الحصص الدراسية .. ولا يلتفتون إلى شرح المدرسين .. والمدرسات .. للدروس .. كما أن هؤلاء الأمهات يلاحظن أن أولادهن .. عندما يذاكرون فى البيت .. فإنهم يكونون شاردين منصرفين عن المذاكرة .. وتسأل الأمهات وتتساءل دائمًا .. عن السبب فى شرود أولادهن.

والحقيقة أن الشرود له أكثر من سبب .. فمن الممكن أن يشرد التلميذ لأن صحته ضعيفة .. وليست على ما يرام .. ومن الممكن أيضًا أن يكون سبب شرود الطفل فى المدرسة .. وعدم التفاته للدروس هو عدم تناوله وجَبة الإفطار .. أو سهره أمام التليفزيون لوقت متأخر .. وعدم حصوله على قسط وافر

من النوم .. وبذلك يكون دائمًا .. خاملاً .. متعبًا كسولاً .. ولذلك يستصعب الدروس ويشرد فى أشياء أخرى.

ويعد سوء التغذية.. وضعف الصحة .. والتعب من أهم أسباب الشرود .. لذلك فينبغى على كل أم أن تحرص على أن ينال أولادها قسطًا كافيًا من النوم .. وهذا معناه أن تكون الأم فى منتهى الحكمة .. والحزم .. فى تنظيم مشاهدتهم للتليفزيون .. كما يجب أن تراعى غذاء أبنائها .. وتحرص أشد الحرص على وجبه الإفطار لأنها مهمة جدا.. وبخاصة بالنسبة لتلاميذ المرحلة الإعدادية والثانوية .. لأنهم يستمرون فى الدراسة فى بعض الأحيان لما بعد الساعة الثالثة بعد الظهر.. أى أن التلميذ يستمر فى المدرسة 7 ساعات فى دراسة ونشاط مستمر.. فإذا لم يتناول وجبة إفطار كاملة قبل خروجه سيتعرض للضعف والتعب .. وضعفه .. وتعبه سيصرفانه عن بذل المجهود .. والالتفات لشرح الدروس وتكون النتيجة أنه حين لا يفهم شرح الدروس؛ فإنه يشرد فى أشياء أخرى تريحه .. ويتخيل مثلاً متى يخرج من الحصة؟ .. ومع من سيلعب؟ وأين؟! وهكذا.

لذلك فمن المهم جدًا أن تعود كل أم ابنها عادة الإفطار.. وألا تكتفى بأن يفطر يومًا .. ويهمل إفطاره يومين.

فلابد أن يكون تناول الأبناء الإفطار بانتظام حتى يصبح ذلك .. عادة متأصلة فيهم .. وتخطئ بعض الأمهات خطأ كبيرًا فى أنهن لا يعددن وجبة الإفطار، اعتمادًا على أنهن يعطين أبناءهن بعض الشطائر ليأخذوها معهم .. ويأكلوها فى المدرسة حين يشعرون بالجوع .. ولكن من يدرى متى يبدأ الأبناء فى تناول هذه الشطائر؟ وهل يأكلونها كلها، أم يعطونها لزملائهم.

فلكى تكنَّ أيتها الأمهات مطمئنات .. لابد من التأكد من أن ابنك أو ابنتك .. قد تناولا إفطارهما .. قبل الخروج .. إلى المدرسة .. وأن تعطيهما بعد ذلك بعض الشطائر.. لكى يأكلانها فى الفسحة.

ومن الأسباب البارزة للشرود بين أبنائنا .. المرض .. فتعرض الطفل للمرض بكثرة .. يتسبب فى غيابه عن المدرسة .. وما دام .. قد غاب مدة طويلة .. أو تكرر غيابه .. فإن دروسًا كثيرة تفوته .. ويسبقه زملاؤه.

وعندما يرجع الطفل إلى المدرسة بعد شفائه من مرضه .. فإنه يجد أن دروسًا كثيرة قد فاتته .. وأنه لا يستطيع متابعة الدروس الجديدة .. أى أن تسلسل الدروس عنده ينقطع .. فتكون الدروس الجديدة صعبة الفهم عليه .. وهذا طبعًا .. يضايقه .. ويصرفه عن شرح الدروس .. ويجعله يشرد فى أمور أخرى .. لأنه يحس أنه فى مشكلة لا يستطيع التصرف إزاءها.

والطفل الذى يتعرض للمرض بكثرة لا يجب أن يكون هدفنا الأول علاجه وتقوية صحته .. باستشارة الأطباء وتنفيذ تعليماتهم.

فالطفل كلما تحسنت صحته .. قل غيابه .. وانتظمت حياته الدراسية .. ويجب أيضًا بالنسبة لهذا الطفل .. أن نعتنى بشئونه المدرسية .. أى أن نحرص فى مدة مرضه .. وغيابه عن المدرسة .. أن نكون على صلة بمدرسته .. وبعض زملائه .. لنعرف أولاً بأول .. ما يأخذه من دروس .. ونحاول أن نراجعها معه فى المنزل عندما تسمح صحته بذلك .. ودونما إجهاد.

ومن أسباب شرود الأبناء أيضًا .. انشغال الطفل بمشكلات خاصة .. كمشكلات بينه .. وبين زملائه .. في المدرسة .. أو مشاكل في أسرته.

فمن الممكن أن يخيفه .. أحد زملائه .. أو يشتد عليه .. أو يتحكم فيه بأية صورة من الصور. ومن مشاكل الأسرة التي تسبب له حيرة وتعاسة بالغين .. ما قد يحدث بين الطفل .. وبين إخوته من غيرة .. وتنافس .. وخصوصًا إذا كان الوالدان يعقدان المشكلة أكثر بعدم العدل بين أولادهما.. وتفضيل أحدهما .. على الآخر.

ومن أسباب شرود أبنائنا أيضًا .. أن الطفل يشرد .. لأن عنده ضعفًا.. أو عيبًا خلقيًا .. في شكله .. يجعله يشعر بالنقص .. والتعاسة .. والبؤس.

كل هذا يجعله يفكر في نفسه .. وفي بؤسه .. فيشرد .. ويشط عن الأفكار التي يشرحها المدرس أثناء الدرس .. وفي هذه الحالة ينبغي أن نشجع الطفل الذي يحس بالنقص .. ونغرس فيه الثقة بالنفس .. ونثبت له أهميته لدينا .. وأهميته في الحياة على العموم .. ومن ذلك أننا نبحث عن بعض محاسنه .. ونبرزها.

كما أنه من الممكن أن نسند إليه بعض الأعمال التى نعرف أنه يستطيع أن يؤديها فإذا ما أداها بنجاح . نثنى عليه ونمتدحه .. فيشعر بأهميته. والشعور بالأهمية .. يقوى الثقة بالنفس، وهى كما نعلم جميعًا .. أولى دعائم النجاح فى الحياة.

الفصل السابع

لماذا يكذب الأطفال ؟

قد يكذب الطفل تقليدًا لآبائه. فليس من الممكن أن يكون الطفل صادقًا فى منزل لم يعد الوالدان فيه يحبان بعضهما البعض. ومهما تظاهر الوالدان بأنهما على علاقة طيبة ببعضهما فلن ينخدع الطفل. سيغرق فى أوهام غير حقيقية من صنعه هو. والإنسان خير بطبيعته، ولكن البيئة تشكله بالصورة التى يصبح عليها.

وكثيرًا ما يصب أفراد المجتمع الأكاذيب فى عقل الطفل، وكثيرًا ما يجد الأب صعوبة فى أن يقول الصدق دائمًا، فهو يذكر للطفل أنه سيصحبه فى نزهة ثم يكتشف الطفل أنه أخذه لعيادة الطبيب.

وهناك كثير من البيوت التى تعيش دون كذب، ومن مثل هذه البيوت ينشأ الأطفال الذين يتميزون بالبراءة والإخلاص.

ويمكن للآباء أن يجيبوا عن كل أسئلة الطفل بصدق ابتداء من الأسئلة التى تدور حول كيفية وجوده إلى الأسئلة الخاصة بعمر الأم.

وهناك نوع من الأكاذيب شديد الصلة بخيالات الطفل. يذكر الطفل لأمه مثلاً أنه رأى كلبًا فى حجم البقرة الكبيرة، وفى مثل هذه الحالات فإن الكذب يكشف شخصية الكاذب.

وأفضل الطرق للاستجابة إلى مثل هذه الأكاذيب هو أن تدخل فى صميم الكذبة، فعندما يذكر الطفل مثلاً أن والده يملك سيارة رولزرويس نرد عليه قائلين: نعلم ذلك أليست جميلة حقًا؟! هل يمكنك قيادتها؟

وليس من المعتقد أن هذا النوع من الكذب يوجد بين الأطفال الذين تتسم حياتهم بالنظم والضبط الذاتى منذ الميلاد، كما لا يحتاجون إلى مثل هذا النوع من السلوك التعويضى لمشاعر النقص التى يعانون منها عن طريق ذكر قصص طويلة حول عديد من الأمور.

وهذا النوع من الكذب الخيالى قد يكون نوعًا من أنواع

اللعب التى يتسلى بها الطفل. ويحتاج الآباء إلى التوجيه الحسن، والاستفادة منه خاصة عندما يكون خيال الطفل من النوع القوى المبدع. كما أن مثل هذا النوع من الكذب ينتهى وحده مع الزمن، لذا فلا داعى للقلق من قبل الآباء.

ومن الأفضل والمفيد للطفل إذا ما شطح به خياله فى صورة قصة أو حادثة وهمية أن نسأله بطريقة هادئة ولطيفة من حين لآخر إذا كان متأكدًا من صحة ما يقول.

وإذا نحن جعلناه يحس من نبرات صوتنا بأننا نحب هذا النوع من اللعب، ونشاركه فيه مشاركة فعلية متبادلة قصة بقصة وخيالاً بخيال ونشعره بأن هذه القصص خيالية، ولكنها مخالفة للواقع. ويصعب على الطفل فى مراحل معينة من حياته أن يميز بين ما يراه فى الواقع، وبين ما يرسم فى خياله. فما يستهويه من حكايات خرافية أو قصص واقعية يتحدث عنها بعد ذلك كأنها وقعت له بالفعل.

وكثيرًا ما لا يتمكن الطفل من التمييز بين ما يراه فى أحلامه وبين الحقيقة، ويخلط بينهما. فتحكى ما تراه فى الحلم على أنه رآه فعلاً فى الواقع، فقد قامت طفلة فى

الرابعة من عمرها مذعورة من نومها تبكى وتقول أن بائع المرطبات المقيم فى آخر الشارع قد ذبح عروستها ووصف بشىء من التطويل كل ما رأته فى الحلم، وقصت كل ما ذكرته على أنه حقيقة، وهذا النوع من الكذب يزول من تلقاء نفسه عندما يصل عقل الطفل إلى مستوى من النضج يمكنه من أن يدرك الفرق بين الحقيقة والخيال ..

ولكن لا يعنى ذك أن نتركه حتى يزول من نفسه، فبشىء من الإرشاد يتم مراعاة مستوى الطفل مما يفيد فائدة كبيرة من الناحيتين الانفعالية والإدراكية. والنوعان السابقان من الكذب يعدان من الكذب البرىء. أما الكذب الإدعائى أو التعويضى أو المرضى ففيه يلجأ الطفل إلى المبالغة فى وصف الخصائص أو تجارب ليس موجودة متوافرة لديه ليحظى بتقدير الآخرين وإعجابهم. فيصف مثلاً مبلغ غناه، أو مبلغ قوته، وكم تغلب على أطفال آخرين، أو كم ما لديه من الملابس الفاخرة أو ماله من عدد كبير من الأصدقاء، أو مدى صداقة والده بمصادر السلطة أو ذوى النفوذ.

وكل هذه الأمور تخالف الواقع وحقيقة الأمر، لكنه يهدف من ذلك إلى تعظيم الذات وجعلها مركز الانتباه كتعويض عن شعور الطفل بالنقص.

وتعظيم الذات عن طريق الكذب إنما هو طريقة لتغطية هذا الشعور بالنقص، ويرجع هذا النوع من الكذب فى بعض الحالات إلى وجود الطفل فى بيئة أعلى من مستواه فى ناحية معينة، ورغبته فى الوصول إلى هذا المستوى. فإذا لم يتمكن من تحقيق ذلك بطرق واقعية حققها بطرق يخترعها من مخيلته.

وقد يلجأ الطفل إلى هذا النوع من الكذب التعويضى عند عجزه عن الانسجام مع من حوله. وعندما تضيف بيئته المنزلية إلى بيئة المدرسة وعندما يخضع الطفل إلى كثير من صور الإذلال والقمع اللذين يقعان عليه ممن حوله من الذين لا يريدون له الظهور فإنه يلجأ إلى الكذب التعويضى.

ولعلاج هذا الأمر يجب أن نكشف عن نواحى القوة فى الطفل والتى تكون بمثابة تعويض سليم لجوانب القصور الأخرى لو تعهدناها بالرعاية حتى يتفوق فيها فترتد له ثقته بنفسه.

ومن أنواع الكذب الادعائى أن يدعى الطفل المرض أو أنه مضطهد أو مظلوم أو سيئ الحظ. كل ذلك ليحصل على قسط من أكبر من العطف والرعاية. ويحدث هذا عادة من الطفل الذى لم يحصل على العطف الكافى من والديه إلا إذا كان فى حالة مرض أو مسكَنَة.

وهذا النوع من الكذب يجب أن يعالج من الصغر حتى لا يلازم صاحبه فى كبره، ويغدو من فئة الفشارين الذين يكثر حديثهم عن أشياء وأعمال وصِفات جليلة يكون الآخرون على ثقة من عدم وجودها.

وكثيرًا ما يكذب الأطفال انتقامًا من غيرهم بأن يوجهوا إليهم اتهامات يترتب عليها عقابهم أو سوء سمعتهم أو غير ذلك عندما يشعرون نحوهم بالغيرة أو عندما لا يشعر الطفل بالمساواة فى المعاملة بينه وبين الطفل الآخر ويجب أن يكون الآباء والمعلمون حريصين، إزاء هذا النوع من الاتهامات إذ إنها لا تقوم فى غالبية الأحيان على أسس كافية من الحقيقة.

الفصل الثامن

أطفالنا .. والعدوان

من اليسير أن يعتقد المرء أن الأطفال يضمرون لغيرهم الحب والحنان. فإذا بدر منهم سلوك عاطفى، سلمنا بأن أفعالهم إنما تترجم عن حقيقة شعورهم.

ولكن، لندع طفلاً ما يصيح مغضبًا، وينهال على الأشياء قذفًا، أو لندعه يتفوه بعبارات التهديد والوعيد، أو لندعه يعرب عن غيظه، حينئذ يسارع الكبار إلى التماس المعاذير، فيعلقون على مسلكه هذا بقولهم:

"إنه لا يدرى ما يقول" أو "إنه لا يعنى ما يقول".

والواقع أننا نضيق ذرعاً بالفكرة القائلة إن الأطفال قد يشعرون بالعدوان. ونقصد بالعدوان، كل المشاعر والدوافع التى تتضمن عنصر التدمير وسوء النية حيال الآخرين.

هذه المشاعر يمكن أن يفصح عنها الأطفال فى شتى

الصور. فطفل الرابعة الذى لا يتوانى عن هدم قصور الرمل التى يبنيها أطفال آخرون، وطفل التاسعة الذى لا ينقطع عن الزهو على طفل أصغر منه سنًا بتفوقه عليه فى القوة، أو الصغير الهادئ الذى يلزم ركنًا قصيًا حالمًا بأبشع صنوف التعذيب ينزلها بلعبه - هؤلاء الأطفال إذ يفعلون ذلك إنما يعربون عن مشاعر عدوانية لا شك فى وجودها.

ونحن نعلم أن المشاعر العدوانية تسلم إلى العنف والاعتداء، وذلك سلوك لا يقره المجتمع إلا فى ظروف خاصة، كالتنافس الرياضى، والدفاع عن النفس، والحرب.

بل إننا لا نعدم فى هذه الظروف قواعد صارمة تحد من غلواء الأفعال الاعتدائية. وعلى العموم فإن السلوك الاعتدائى أو العدوانى، يدعو إلى الاستياء، فضلاً عن كونه أمرًا يناهضه جميع الناس.

وما دمنا نعيش فى عالم متمدين، يتحتم علينا أن نتعلم التحكم فى نزعاتنا العدوانية. فليس بوسعنا دائمًا أن نفصح صراحة. عن مشاعرنا العدائية، وليس بوسعنا من باب أولى أن نسلك سلوكًا عدوانيًّا. ولكن نفوسنا تضمر فى

أغلب الأوقات مشاعر عداء وعنف. ومن الوسائل التى نتذرع بها كى نمنع هذه المشاعر من أن تستحيل إلى سلوك عدوانى، أن نقنع أنفسنا أننا منها أبرياء، أى أننا نأبى أن نقر بمشاعرنا العدائية، أو أن نسلم بوجودها فى نفوسنا. فلا عجب إذن، والأمر كذلك، إن كنا نأبى أيضًا أن نقر بوجود هذه المشاعر فى نفوس أطفالنا.

ولكل وليد معافى قدرة تلقائية على أن ينمو حتى يصير شخصًا ناضجًا. ومعنى أن يصير ناضجًا هو، فضلاً عن أمور أخرى، أن يكتسب القدرة على استشعار شتى الانفعالات، ذلك أن قدرة المرء على استشعار البغض والحب، والنفور، والميل والغيظ، والامتنان، جزء لا يتجزأ من كيانه الإنسانى. والشخص المتكامل بوسعه أن يستشعر مختلف الانفعالات فى أوقاتها الملائمة.

ويتفق علماء النفس، والأطباء النفسيون على أننا نولد جميعًا .. ولدينا القدرة على استشعار الدوافع العدائية. ولكنهم لم يتفقوا بعد على إجابة حاسمة على السؤال: "من أين لنا بمشاعرنا العدائية؟"، فيعتقد بعض الخبراء أننا نولد وبنا

حاجة إلى البغض والعدوان، ويقابل هذه حاجة أخرى إلى الحب والعطف. وعلى ذلك فإن ما تفعله خبراتنا هو أن تحرك فحسب ما تنطوى عليه نفوسنا من حاجة إلى الحب أو أن البغض. فى حين أن ثقات آخرين يعتقدون أننا نكتسب بعد الميلاد مشاعر الحب والبغض فالخبرات المؤلمة الخاذلة لرغباتنا تعلمنا أن نبغض، فى حين تعلمنا الخبرات السارة أن نحب.

ولكن سواء أكان العداء فطريًّا أم مكتسبًا بعد الميلاد، فهو فى الحالين انفعال حقيقى لا شك فى وجوده فى حياتنا الإنسانية، ويلعب دورًا لا يقل فى أهميته عن دور الانفعالات الأخرى.

إن القدرة على استشعار العدوان من مقومات الشخصية، وتنمو هذه القدرة لدى الطفل تنمو قدرة الكلام، والكتابة، والاستدلال والتذكر، والتخطيط. وما أبعد الاختلاف بين ذلك النوع من الغضب والحنق الذى يبديه طفل الثانية من عمره، وبين تلك الصور التى تتخذها هذه المشاعر نفسها لدى صبى فى عقده الثالث ذلك أن الطفل يتعود مع الزمن

أن يتحكم فى نزعاته العدوانية، بل ويهتدى كذلك إلى أساس أكثر نضجًا للتعبير عن هذه النزعات.

ولكن مهما يكن من عمر الأطفال، فلابد أن نتوقع منهم أن يبدؤا العدوان من وقت إلى آخر على نحو أو آخر. وينبغى أن نسلم بأن الأطفال مستشعرون حتمًا بعض الغيظ والغضب نحو أخواتهم، ووالديهم ومعلميهم، وأقرانهم. بل إن أى شخص يهتم به الأطفال، لكونه مسليًّا لهم أو محبوبًا منهم، وأى شخص يتصل بخبرات ذات شأن بالنسبة لهم هو من الأهمية فى حياتهم بحيث يكون هدفًا لمشاعرهم العدائية.

ونحن لا نستطيع استئصال العدوان من نفوس الأطفال بإنكارنا وجود العدوان فى تلك النفوس .. ولكننا نستطيع أن نساعدهم على تعلم مقاومة هذا الانفعال.

وإن من خير الطرق التى يمكن للكبار انتهاجها لمساعدة الأطفال فى هذا الشأن، هو أن يعلموهم الفرق بين المشاعر العدائية (وهى انفعال طبيعى لا ينبغى أن نجعل الأطفال يستشعرون بسببه الإثم، وبين السلوك العدوانى الذى ينبغى فرض الحدود عليه) .. ذلك أنه من اليسير على الأطفال

إذ يحاولون تحقيق المعايير التى يفرضها مجتمع الكبار، أن يسيئوا فهم ما ينتظره منهم الكبار.. فقد يتوجسون خيفة من أن يلاموا على مشاعرهم قدر ما يلامون على أفعالهم.

لا مفر من أن يشعر الطفل بالغضب بين فترة وأخرى، لكنه يستطيع أن يعتاد الامتناع عن تصريف هذا الشعور دون حاجة لضغط خارجى .. وإن مهمة الآباء هى:

- تقبل المشاعر العدوانية بوصفها جزءًا طبيعيًّا من حياة الطفل الطبيعية.
- مساعدة الطفل على أن يعتاد التحكم فى دوافعه العدوانية.

الفصل التاسع

أطفالنا .. والخوف

إن معظم الخوف مكتسب .. فالخوف استجابة مشتقة من الألم. والأطفال لا يولدون "خوافين" .. بل إنهم يتعلمون ذلك الخوف .. وحيث إن معظم التعليم يكتسبه هؤلاء الصغار في المنزل .. فلا غرابة إذن .. إذا قلنا إن الأطفال يبدون استعدادًا قويًّا لالتقاط مخاوف آبائهم .. ويبدو هذا واضحًا في مخاوف مثل الخوف من الكلاب .. والحشرات .. والعواصف الرعدية .. وما إلى ذلك.

ويلتقط الأطفال مخاوف آبائهم عن طريق ميكانيزم التوحد أو عن طريق التعلم بالمشاهدة. والمخاوف التي تكتسب عن هذا الطريق تمتاز بطول بقائها بشكل خاص. فإذا كانت الأم مثلاً تخاف من الكلاب .. فإنه سيكون من الصعب عليها أن تنصح ابنها (أو ابنتها) بأنه لا يوجد هناك ما يوجب خوفهما من الكلب .. وبالتالي فإن الطفل لن يتعلم

سوى استجابة الانسحاب .. أو التجنب كلما تكررت .. ذلك أنها تؤدى إلى خفض التوتر.. الذى يعانيه الطفل فى حضور الكلب الذى هو موضوع خوفه. وبالتالى فإن الطفل يميل دائمًا إلى تكرار هذه الاستجابات .. دون أن تسنح له على هذا النحو.. أية فرصة لتعلم استجابات أخرى جديدة وأكثر نضجًا .. ولهذه الأسباب فإن المخاوف التى يشارك فيها الصغير والديه تقاوم بشكل خاص العلاج والانطفاء.

والمخاوف إذا كانت طبيعية فإنها تحقق وظيفة صحية .. فالخوف من الطريق العام .. أو الحيوانات المتوحشة .. أو الآلات الخطرة .. أو المركبات المسرعة .. يمكن أن يحافظ على حياة الطفل .. لنتأمل طفلاً لا يخاف من مثل هذه الأشياء .. وننظر ماذا يمكن أن يحدث له .. وإلى جانب ذلك فإن مثل هذه المخاوف قد تساعد على التعلم .. فالطفل الذى يخاف من المركبات المسرعة .. يمكنه أن يتعلم قواعد المرور التى تؤمن له عبور الطريق بسلام.

ولكن بينما توجد مخاوف صحية على هذا النحو.. إلا أن المبالغة فى شدة الخوف .. وكثرة تكراره .. يمكن أن تعوق

عملية النمو .. فالطفل الذى يكثر من البكاء .. والانسحاب .. والانكماش والاحتجاج .. واستجداء المساعدة .. والالتصاق بالوالدين .. لا يمكن أن يكون فى طريقه إلى تنمية الكفاءة والاستقلال المتطلبين فيما بعد.

وقد لوحظ أن الطفل الذكى يكون أكثر خوفًا من الطفل الأقل ذكاء .. وقد يرجع ذلك إلى أن الطفل الذكى هو أقدر على تصور الخطر المحتمل .. ويتمتع بخيال أشد خصوبة.. كما أنه يكون أقدر على التفكير والتأمل .. بما فى ذلك التفكير فى الأخطار.. أكثر مما يفعل الطفل الأقل ذكاء .. أو المحدود القدرة من الناحية العقلية.

والواقع أن مخاوف الأطفال يصعب إلى حد كبير على الآباء .. أو غيرهم التنبؤ بها .. ففى جميع الأعمار توجد فروق فردية من حيث القابلية للخوف .. ففى حين يخاف طفل ما إلى حد الفزع .. من القطط .. نجد آخر يحب القطط ولا يمل من اللعب معها .. بل حتى ذلك الذى يخاف من القطط .. قد لا يظهر ذلك الخوف فى جميع المواقف .. فهو فى بعض المواقف قد يصرخ عندما يشاهد قطة .. ولكن فى مواقف أخرى قد يكتفى بمجرد تجاهلها. وتتوقف تلك الفروق على عوامل متعددة.

الفصل العاشر

طفلك بين الرضاعة والفطام

إن الرضاعة أخطر من أن تكون وسيلة لإشباع حاجة فسيولوجية .. وإنما هى على العكس .. موقف اجتماعى شامل .. يشمل الرضيع والأم. وهى أول فرصة للتفاعل الاجتماعى بين الرضيع وأمه.

ويجمع علماء النفس على أن السنوات الأولى من عمر الطفل ذات أثر.. يكاد يكون حاسمًا فى تعيين شخصيته المستقبلية .. وتحديد اهتماماته العقلية .. واتجاهاته الانفعالية. وذلك يبين لنا أن حياة الطفل فى هذه السنوات لا يمكن أن تكون حياة بيولوجية صرفًا، بل لابد أن تكون عامرة بالعناصر الانفعالية والعقلية التى يخفيها عنا، بعد عهدنا بالطفولة، والفرق الشاسع الذى نلحظه بين تصرفاتنا كراشدين وتصرفات الأطفال البدائية..

وعندما يولد الطفل فإنه ينتقل إلى بيئة طبيعية

مختلفة تمام الاختلاف عن البيئة البسيطة التى كانت تضمه طوال فترة الحمل .. فبعد أن كان جنينا محاطًا بسائل رخو .. معرضًا لأقل عدد ممكن من المنبهات (كالحرارة والضوء).. ونشاطه قاصرًا على بضع حركات مقيدة بحدود الرحم، وأوضاع الجنين فى مختلف أشهر الحمل .. إذا به يندفع إلى بيئة هوجاء مضطربة .. دائمة التغير .. وإذا هو عرضة لاستقبال العديد من المنبهات كالضوء القوى، والهواء والحرارة المتقلبة .. والأيدى التى تحمله .. والهواء يندفع إلى رئتيه فيضطره إلى الصراخ .. وذلك نشاط جديد لم يكن يزاوله من قبل .. واللبن ورائحته .. ثم حركات الأحشاء .. وعملية الإخراج .. وأصوات متعددة .. إلخ كل هذه التقلبات التى يتعرض لها، تفرض على الكائن الصغير أن يحاول بحكم طبيعته. أن يتكيف للبيئة الجديدة .. الأمر الذى لا يتم قبل الأسبوع الرابع حين يكون قد اعتاد هذه البيئة .. وفى خلال هذه المدة يكاد يكون نشاطه مقصورًا على الوظائف الفسيولوجية كالتغذية .. والنوم .. والإخراج وما يتصل بها من عمليات.

لذلك **قيل إن الأشهر الأربعة الأولى فى عمر الطفل**

هى مجرد امتداد لشهور الحمل التسعة .. ومرحلة إعداد للحياة الجديدة.

خبرة الرضاعة

وإذا كانت الأم فى حالة صحية طيبة .. وفى حالة انفعالية عالية مستقرة .. وإذا كانت مقبلة فى رضى وغبطة على إطعام الطفل من ثدييها .. حينئذ لابد أن يكون فى موقف الرضاعة تعويض للرضيع عن الراحة التى كان ينعم بها فى بيئة الرحم البسيطة الهادئة .. وتخفيف من صدمة الانتقال إلى البيئة الخارجية الهوجاء.

من أجل ذلك نلح على القول بأن **الرضاعة** أخطر من أن تكون مجرد وسيلة لإشباع حاجة فسيولوجية .. وإنما هى على العكس من **ذلك موقف اجتماعى شامل** .. يشمل الرضيع والأم .. وهى **أول فرصة للتفاعل الاجتماعى بين الرضيع وبين أمه** .. بل بين الرضيع وبين الحضارة التى تكون الأم قد تمثلت أساليبها فى مواجهة مختلف مواقف الحياة .. ومن بينها موقف الرضاعة، والفطام .. وغير ذلك من مواقف التربية والتشكيل الاجتماعى للطفل.

وعندما تحمل الأم وليدها بين ذراعيها لترضعه لأول مرة تكون لديها فكرة معينة عن طريقة إرضاع الطفل .. ومجموعة خبرات مستمدة من حضارتها خاصة بما ينبغى عمله فى مواقف تغذية الطفل .. ولكن مما لا شك فيه أنها تتعلم بنفسها من هذه المواقف أمورًا كثيرة .. وتزداد قدرة مع الأيام على إرضاع وليدها .. كما تزداد مهارة فى مجابهة المشاكل التى تنجم عن مواقف الرضاعة والتغذية الطبيعية فيما بعد .. وفوق هذا وذاك .. فهى تتعلم فى كل لحظة التكيف لظروف وليدها الجسمية .. وإمكاناته الخاصة .

هذا وتختلف الأمهات ليس فقط من حيث المهارة فى مجابهة مواقف التغذية .. بل كذلك من حيث التقبل النفسى لدور الأمومة .. والتقبل النفسى هذا كفيل بأن يشيع الحرارة فى موقف الرضاعة إذ تكون الأم فى حالة ارتخاء تام وهدوء انفعالى عميق. وبالتالى لابد أن تكون هذه حال رضيعها ..

ويجب أن نعرف أن الفم مصدر لذة كبرى للرضيع أعم وأشمل من لذة إشباع التوتر الناتج عن الجوع، فهو عضو ذو حساسية زائدة، كما أنه فى الوقت نفسه وسيلة الإحساس بوجود الأم .. والشعور بحنانها ...

عن طريق الفم .. يتلقى الطفل الغذاء المشبع .. والحنان المريح .. والأمن المهدئ .. وعن طريقه يتلقى مدركاته الأولى عن الأم ومواد العالم الخارجي .. ويتعلم الدرس الأول فى الثقة بهذا العالم الخارجي .

وعندما تسحب حلمة الثدى من فمه قبل أن يشبع جوعه .. وقبل أن يطفئ عطشه. يفقد الشعور بالأمن .. وهكذا يتعلم الدرس الأول فى تحمل الحرمان .. وإحباط الرغبات.

كل هذه شواهد تدل على أن انفعالات الرضيع تتركز حول الفم .. ومعنى ذلك أن تنظيم العادات المتصلة بالفم هو فى الوقت ذاته تنظيم لانفعالات الرضيع .. فلا عجب إذن أن يستخدم الطفل فمه فى مراحل حياته التالية .. للتعبير عن مشاكله الانفعالية، كما يحدث فى حالة العض .. أو مص الأصابع .. أو فى حالة الإضراب عن الطعام .. أو فى صعوبات النطق.

خبرة الفطام

حادث هام يطرأ على حياة الطفل خلال العام الأول

من عمره .. مصحوب باضطراب انفعالى ناتج عن الانتقال من عادات فى الأكل .. إلى عادات جديدة .. من الرضاعة أى امتصاص سائل لا يحتاج إلى جهد .. إلى الأكل بالأسنان لطعام يحتاج .. إلى أعمال جديدة .. كالمضغ والبلع .. وما ينجم عن ذلك من تغير فى الإحساسات المعدية .. والمعوية والإخراج ..

الفطام .. هو انتقال من إحساس لذيذ فى حضن الأم .. إلى عملية جافة .. هى الأكل بعيدًا عن ذلك الحضن .. فالفطام **منع للثدى** .. ومن ثم كان **منعًا للحب** ..

ولهذه الاعتبارات النفسية وجب أن يتم الفطام بحذر. حتى لا يؤدى إلى عواقب نفسية وخيمة .. ولا يصح أن يتم فجأة .. بل لابد من تعويد الطفل على الرضاعة من الزجاجة أو الملعقة قبل التوقف عن الرضاعة .. وذلك حتى يدرك قبل حلول الفطام أن هناك علامات أخرى على حب الأم غير وضع الثدى فى فمه .

ومن الخطأ الجسيم أن نمضى مع رغبة الطفل فى الثدى فنؤخر الموعد المعتاد للفطام .. فذلك معناه تثبيت

للعادات الطفلية التى يلجأ لها كثير من الكبار فى حياتهم الاجتماعية .. من حيث التشبث .. والسلوك الهروبى .. أو الكسل والركون إلى الدعة.

وكثير من الكبار من يرتد إلى وسائل الرضيع لكسب الحب، وهى التظاهر بالضعف والعجز.. أو الاحتجاج الأعمى. فليس عجيبًا أن تبذر بذور الاضطرابات أو القلق النفسى فى الطفل .. من جراء موقف الأم منه إبان الرضاعة وحين الفطام.

ولذلك وجب أن يكون موقفنا فى الحالتين موقف الهدوء والاتزان الانفعالى .. وعدم الغلو فى إظهار القلق إزاء ما قد يبدر من صعوبات خاصة بالتغذية.

الفصل الحادى عشر

أطفالنا ومشكلات النمو

قال تعالى فى كتابه العزيز ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ سورة المؤمنون .

هذا بيان عظمة الخالق فى خلق الإنسان وفى نموه، ثم يبين سبحانه وتعالى أن تكملة عظمة الخالق فى خلق الكون والطبيعة ومظاهرها.

وظواهر الطبيعة هى أعجب فى هذا الكون .. وأعجب ما فى ظواهر الطبيعة هو طبيعة النمو .. وأعجب ما فى طبيعة النمو هو نمو الإنسان .. فيبدأ الإنسان حياته بأعجوبة .. ثم ينتقل من مرحلة إلى مرحلة بأعجوبة .. يتفتح

بدنه .. وتتفتح نفسه .. على صورة معجزة لا يمكن تفسيرها .. ولو أنه يمكن التعمق فى تفسيرها.

ونلاحظ أن فلسفة العلاج الطبى .. هى مسايرة الطبيعة .. وفلسفة التربية هى مسايرة الطبيعة .. ومن يحاول أن يسير ضد الطبيعة .. فإن الطبيعة تقهره وتغلبه على أمره.

ويحاول كثير من الآباء أن يعلم ابنه المشى قبل الأوان فتتقوس رجلاه .. ويظل طول حياته يحاول علاجهما عبثًا .. ويحاول الكثيرون تعليم الأبناء الكلام قبل الأوان فينمون فيهم صعوبات النطق .. وهكذا من أراد أن يسبق الطبيعة .. فإنه لابد أن يتخلف.

ونحن نعلم أن كثيرين من الآباء يتعجلون سير أبنائهم فى التعليم أو فى الحياة .. فهناك والد يريد من ابنه أن يكون رجلاً فى تصرفاته .. والولد ما زال فى سن السادسة وهناك والدة تريد من ابنتها أن تقوم من أخواتها مقام الأم .. وهى بعد ما زالت فى سن الثامنة .. وهناك من يريد من ابنه أن يقطع كل سنتين دراسيتين فى سنة واحدة .. وهم يفعلون ذلك ظنًا منهم أن التعليم فى الصغر مثل

النقش على الحجر. وظنًا منهم أن مآزق الحياة .. يحسن التبكير باجتيازها منعًا للوقوع فى المنافسة .. وكثير منهم يرى فى نفسه عبقرية لابد قد انتقلت إلى ابنه بالوراثة .. فكلما أظهر تبكيرًا فى النبوغ كان هذا مصدرًا لارتياحه .. وسروره لأن دلالته بالنسبة له.

ولكن كل هذا يكمن وراءه قلق .. وخوف. فالقلق هو الذى يدفع بالآباء والأمهات .. إلى التعجيل بنمو الأبناء والبنات .. وهو الذى يجعل للتربية صعوباتها ومشكلاتها.

لهذا كله نجد أن من الضرورى أن يعرف الآباء أشياء عن نمو الناشئة من كل ناحية .. وأن يعرفوا أن هذا النمو ليست له قواعد عامة تنطبق على كل فرد.

لابد أن نعرف أن الطفل يقوم بالمناغاة .. قبل أن يقوم بالنطق .. ويقوم بالكلام .. قبل أن يقوم بالقراءة .. وعلينا أن نتذكر أنه يقعد قبل أن يقف .. ويقف قبل أن يمشى .. ويمشى قبل أن يجرى.

علينا أن نتذكر أن الناشئ .. يكون رضيعًا قبل أن

يكون طفلاً .. ويكون طفلاً قبل أن يكون غلامًا .. ويكون غلامًا قبل أن يكون شابًا .. ويكون شاباً قبل أن يكون شيخًا.

وليس من السهل أن نعدد أوجه النمو فهى متنوعة متداخلة .. بعضها ظاهر وبعضها خفى .. فللعظام نموها .. وللغدد مراحلها فى النمو .. وللشعر مراحله .. وللطول نظامه .. وللذكاء مراحله .. وللمسئولية مراحلها .. وللأنانية أطوارها .. وهكذا .. وهناك ما يشبه النظام العام .. ولكن هناك أيضًا لكل فرد نظامه الخاص؟ فى النمو فليس لنا أن ننتظر أن التسنين يبدأ فى سن معينة .. والمشى يبدأ فى سن معينة .. ولكن لنا أن نعرف هذا التوقيت على أنه نوع من المتوسط العام ندور حوله من بعد .. أو من قرب .. أوقات النمو لكل فرد .. فإذا كان الطفل المتوسط يمشى فى سن سنة ونصف سنة .. فهناك أطفال يمشون فى سن سنتين ونصف سنة .. والمتوسط يساعدنا على التنبؤ .. لكنه لا يجوز .. أن يفرض نفسه علينا. فإذا لم يمش الطفل فى سن سنة .. فليس لنا أن نتعجل تعليم المشى .. ولكنه علينا أن نلاحظه من حيث رغبته ومقدرته.

ومن سنن الطبيعة أن نجد أن الفرد .. ينمو بتدرج .. وأنه يريد أن ينمو .. ولكنه لا ينتقل إلى مرحلة إلا بعد أن يمر فى المرحلة السابقة لها والمؤدية إليها.

ولهذا كان من أهم مبادئ التربية السليمة. إن الأعداد لمرحلة تالية .. يكون على خير وجه .. بمراعاة احتياجات المرحلة الراهنة .. فإذا عاش الطفل طفولته .. وسعد بها كطفل .. فإنه يصبح فى المستقبل رجلاً .. ولكننا لا نريد من الطفل أن يكون رجلاً .. لأننا نريده رجلاً .. فى المستقبل.

إن محاولة استباق الطبيعة فى النمو .. لا يؤدى إلى توقف النمو فحسب .. وإنما يؤدى إلى تأخيره وعرقلته.

فالشرط الأساسى لتربية الأطفال .. فى يسر وفى يقين .. هو دراسة نموهم دراسة جيدة ومحاولة مسايرة هذا النمو.

ولكل مظهر من مظاهر النمو .. مواعيد خاصة منظمة.. ولذا نقول عن الأطفال الذين تبدو عندهم هذه المظاهر قبل أوانها .. إنهم ممن نضجوا مبكرين.

ونقول عن الأطفال الذين يتأخر عندهم حدوث تلك

المظاهر الجسمية .. والعقلية .. بالنسبة لمن فى مثل سنهم. إنهم ممن "نضجوا متأخرين" وبين هؤلاء وأولئك يقع معظم الأطفال الذين يعتبرون "عاديين فى النضج".

فمثلاً هشام أمكنه أن يتعلم القراءة وهو فى سن 4 سنوات بينما أخوه "هيثم" لم يتمكن من تعلم القراءة إلا عندما بلغ عمره 6 سنوات. وكان عمر "هشام" 14 سنة عندما بدأ يظهر اهتمامه بالفتيات بينما لم يظهر "هيثم" مثل هذا الاهتمام إلا عندما بلغ عمره 16 سنة ومع ذلك فقد تساويا فى القدرة على السير فى المواد الدراسية التى اشتركا فى دراستها خلال المرحلة الجامعية.

ومن هذا نرى أنه حتى فى الأسرة الواحدة نفسها. لا يوجد طفلان متساويان تمامًا فى سرعة النمو.. ومواعيد ظهور علامات النضج الجسمية والعقلية .. ويمكن أن يساعدنا ذلك على إجابة الكثير من الأسئلة التى تحيرنا أثناء تربية أطفالنا.

الفصل الثانى عشر

الوراثة والبيئة فى حياة أطفالنا

احتدم النقاش بين علماء الوراثة، وعلماء البيئة. وحاول كل منهم أن يدافع عن وجهة نظره ويبين أهميتها، وفى نفس الوقت يقلل من أهمية العوامل الأخرى وقيمتها.

وقد كان من نتيجة النجاح الساحق الذى أحرزه علم البيولوجيا، وعلم الطب، وتأثرهما بنظرية دارون، أن اتخذ أنصار الوراثة موقفًا متطرفًا.. وأكدوا تأكيدًا قاطعًا أهمية العوامل الوراثية.

ويمثل هذا الاتجاه تلك العبارة التى يقول فيها عالم الوراثة "ويجام" (A.E. Wiggam) إن الوراثة - وليست البيئة - هى الصانع الرئيسى للإنسان .. ومن الممكن القول بأن كل ما يطرأ على العالم من تعاسة وهناء لا يرد إلى البيئة. فالفروق التى توجد بين الناس .. إنما ترجع إلى الاختلافات فى الخلايا الجرثومية التى نولد مزودين بها.. فالشخصية

على هذا الأساس معطاة بشكل محدد منذ الولادة فهى تفسر فى الأغلب كنتيجة لعملية نضج بيولوجى إلى حد بعيد.

وقد رد أنصار البيئة على هذا الموقف، بموقف متطرف كذلك يتمثل فى عبارة "**واطسن**" المشهورة أعطونى مجموعة من الأطفال الأصحاء سليمى البنية .. وأنا كفيل أن أخرج منهم الطبيب .. والمحامى .. والفنان .. والتاجر .. ورئيس العمل .. بل والشحاذ .. واللص .. بصرف النظر عن استعدادتهم .. وميولهم .. وقدراتهم ..وأعمال آبائهم .. وأصولهم الوراثية .. فليس هناك شىء اسمه وراثة القدرات أو المهارات .. أو المزاج .. أو التكوين العقلى .. إلخ".

والحقيقة أن هناك مجموعة كبيرة من العوامل التى يمكن الرجوع إليها فى تفسير شخصية معينة. وهذه العوامل تجمع بين العوامل الوراثية والبيئية معًا.

فالعوامل الوراثية يمكن أن تمدنا باحتمالات كثيرة لتفسير كل من التشابهات والاختلافات بين الأفراد داخل الأسرة .. كما أن البيئة .. وما يتصل بها من عمليات تعلم .. تمدنا كذلك باحتمالات أخرى لا حصر لها. وطالما أن كل

صيغة من المحتمل أن تتأثر بالمحددات الأساسية الكامنة فى الجهاز التكوينى.. كما تتأثر فى الوقت نفسه بمجرى حياة الفرد فى بيئة مليئة بالمثيرات .. فمن المستحيل إذن أن نعزو سمة مفردة من سمات الشخصية إلى الوراثة وحدها، أو البيئة وحدها، فهما متضامنتان معًا منذ بداية الحياة. ومن الممكن إذن أن الشخصية هى دالة أو نتاج للعوامل الوراثية والبيئة معًا ..

ويرى العلماء أن مسألة الفصل بين الوراثة والبيئة لم يعد أمرًا معقولاً علميًا فى الوقت الحاضر.. ذلك لأن العوامل الوراثية، والعوامل البيئية تعملان معًا .. ومن تفاعلهما تظهر السمات الجسمية والبيولوجية للشخصية .. فالوراثة تقدم إمكانيات متعددة .. ولا تتحول تلك الإمكانيات إلى سمات واقعية إلا إذا توافرت بيئة طبيعية وثقافية معينة. وفى حالات نادرة جدًا فقط .. ترجع سمات معينة فى الشخصية إلى الوراثة فقط مثلما الحال .. فى أمراض معينة لا يمكن الإفلات منها.

وتوفر الوراثة البيولوجية المادة التى تتكون منها

الشخصية كما تحدد كذلك اتجاهات نمو الجسم .. وتوجد بعض الأدلة التي يمكن أن نستنتج منها أن العوامل الموروثة (الجينات) تنقل من الآباء إلى الأبناء سمات أخرى غير الصفات الجسمية الخارجية، مثال ذلك .. إمكانيات التعلم المتنوعة .. ومعدلات النمو - معدل النشاط - الاستعداد للاكتئاب - الاستعداد للإحباط - التعبير الانفعالي - درجة التسامح - مستوى الطاقة .. هذا بالإضافة إلى الأمراض الموروثة.

ومن المحددات الوراثية المهمة في تكوين الشخصية، عامل النوع وعامل العمر، فلا شك أن هناك اختلافًا بين شخصية المرأة .. وشخصية الرجل في كل المجتمعات .. وإن كانت بعض تلك الاختلافات ليس مطلقة ولا ثابتة .. وإنما تخضع للمحددات الثقافية. كذلك تختلف شخصية الفرد في مراحل العمر (الطفولة - الشباب - والشيخوخة) في كل المجتمعات وإن اختلفت السمات باختلاف المكان والزمان..

وللتكوين الجسمي للفرد أثر على شخصيته .. حيث

إن هذا التكوين يؤثر فى علاقاته مع الآخرين .. وفى سلوكه بوجه عام .. ومن أمثلة ذلك، طول القامة .. أو قصرها .. والقوة .. والضعف .. ولون البشرة فى بعض المجتمعات .. ومدى توافر الجمال عند المرأة .. والوسامة عند الرجل. وتقيم هذه الصفات الجسمية بمدى توافرها مع الأنماط الثقافية.

ومن خلال ذلك التواؤم أو عدمه .. تؤثر الخصائص فى حاجات الإنسان وتوقعاته . إن نوع العالم الذى يجده الإنسان حوله يتحدد إلى درجة كبيرة عن طريق ردود فعل الآخرين لمظهره الخارجى ولقدراته الجسمية .. فمن النادر مثلاً أن نرى شابًا ضعيف البنية يحاول تحقيق انتصارات رياضية كنوع من التعويض (على الرغم من أن هناك أحوالاً نادرة لذلك .. كحالة تيودور روزفلت) فالصورة العادية هى أن يتقبل ذلك الفرد .. ولو على مضض حقيقة ضعفه الجسمانى ويبتعد عن الاشتراك فى الأنشطة التى تتطلب قوة جسدية.

وقد قام الباحثون بدراسات متعددة على التوائم بحكم اتحاد وراثتهم فى العادة .. قد أدت نتائج البحوث

إلى اتفاق واضح بين التوائم فى الصفات العقلية المختلفة. غير أن البعض يعترض على الأخذ بهذه النتائج كما هى وذلك نظرًا لاتفاق التوائم أيضًا فى البيئة منذ اللحظة الأولى التى تبدأ فيها الحياة داخل الرحم .. بمعنى أن أي تشابه بين التوائم يمكن أن يعزى إلى الوراثة مثلما يمكن أن يعزى إلى البيئة..

وقد ميز الباحثون فى دراساتهم بين نوعين من التوائم : توائم متشابهة أو متحدة .. وهى حالة فريدة فى علم الحياة يكون فيها شخصين نفس التكوين الوراثى.. حيث تكون هناك بويضة واحدة انقسمت قسمين. أو التوائم غير المتشابهة أو المختلفة فهى الناشئة عن إخصاب أكثر من بويضة فى وقت واحد.

وتنمو كل منها منفصلة عن الأخرى .. وواضح إذن أن نمط الجينات .. أو حملة الاستعداد الوراثى .. يكون متفقًا تمامًا فى حالة التوائم المتحدة.

وقد أشار "نيومان" Newman إلى دراسة قام بها على فتاتين من التوائم المتشابهة .. وقد تربت كل منها

منفصلة عن أختها ابتداء من سن 18 شهرًا. والتقيتا ثانية وهما فى سن 18 سنة، وقد عاشت الأولى فى أسرة من الطبقى الوسطى فى أحد أحياء لندن المزدحمة بالسكان .. وحيث كانت مستويات المعيشة - بسبب الحرب العالمية الثانية - منخفضة نسبيًّا .. على حين نشأت الثانية فى بيئة اجتماعية على مستوى اقتصادى عال حيث عاشت فى كندا .. لدى إحدى الأسر من الطبقة العالية .. ونالت حظًّا من التعليم الأكاديمى.

وقد لاحظ العلماء عند دراستهم لهاتين الفتاتين أنهما تتشابهان فى المزاج، والثبات الانفعالى .. ولكن كان الاختلاف واضحًا بينهما فى النمو التحصيلى والعقلى .. وواضح أن الفروق الملحوظة فى التربية .. والبيئة الثقافية كان لها أثر كبير فى اختلاف الفتاتين فى التحصيل العقلى.. وهما فى الأصل متشابهتان فى ناحية المواهب الموروثة.

وفى النهاية نقول .. إن تأثير الوراثة فى الشخصية مرتبط بتفاعل العوامل الوراثية مع العوامل البيئية بصورة معينة .. ويجب ملاحظة أن الذى يورث ليس السلوك نفسه

.. وإنما الذى يورث هو بعض خصائص فى الجهاز العصبى أو الثانوى، فإذا ما تفاعلت هذه الأبنية العصبية المعينة مع البيئة فى ظروف معينة لعبت دورها فى تحديد السلوك .. فالإنسان يرث استعدادات للتصرف بشكل معين .. فإذا جاءت البيئة .. وعوامل استثارة الاستعدادات كانت الاستجابة أو السلوك .. أو التصرف المعين .

الفصل الثالث عشر

أطفالنا
وعادة مص الأصابع

هناك نظريات مختلفة لتفسير عملية مص الأصابع، فهناك رأى يقول إن الرغبة فى الامتصاص ترتبط بعملية الحصول على الطعام. وما دامت الأخيرة لذيذة وسارة، يصبح الامتصاص كذلك لذيذًا وسارًا. وهناك نظرية أخرى تقول إن الحاجة للامتصاص حاجة أولية عند الطفل كالحاجة إلى الطعام وسواء كان هذا التفسير أو ذاك هو الصحيح فمن الملاحظ أن الأطفال الذين يتناولون طعامهم عن طريق الثدى يكونون فى حاجة إلى كمية معينة من الامتصاص، على عكس الأطفال الذين يتناولون طعامهم بطرق أخرى.

وهناك من الأطفال من تظل لديهم رغبة قوية فى امتصاص أصابعهم حتى بعد الفطام. وهذه العملية لذيذة

وسارة للطفل ما دام يصر عليها، ويقاوم منعه عنها. كما يلجأ إليها كلما وقع فى أزمة نفسية أو موقف إحباط .. أو عندما يدخل شخص غريب إلى منزله، أو عندما تتركه الأم وحيدًا .. أو عندما يجرى الأطفال بعيدًا عنه ويتركونه وحيدًا.

والواقع أن عملية مص الأصابع تكثر عند الأطفال الذين لم تتح لهم الفرصة الكافية للرضاعة أثناء فترة حضانتهم .. فالأطفال يولدون ولديهم دافع فطرى للمص. ولا شك أنه لابد من إشباع هذا الدافع بالطرق الطبيعية، وإلا فإن الطفل سيبحث عندئذٍ عن طرق بديلة للإشباع.

كما أن الدافع للمص يكون أقوى فى المراحل المبكرة عنه فى المراحل المتأخرة .. فطالما أن الدافع إلى المص موروث . فإنه يكون أقوى فى مراحل النمو الأولى التى لا حيلة للطفل فيها إلا الاعتماد على الآخرين، بينما تقل قوة هذا الدافع فى الكبر نتيجة لتوافر فرص إشباعه .. وتنوعها .. بمرور الزمن .. فتخف حدته بالتدريج.

ومن المعروف أنه إذا ما أعاق الاستجابة الموجهة نحو هدف معين أى عائق (والاستجابة هنا هى رضاعة

اللبن) فإن الطفل يسعى إلى البحث عن فرص أخرى لأداء الاستجابة المشبعة البديلة (وهى عادة مص الأصابع).

وتعد عمليتا المص والبلع انعكاسًا موجودًا فى الكائن البشرى، وتهدفان إلى الحصول على ما يدعم ويعطى الاستمرار لحياة الطفل حديث الولادة عن طريق تدفق الطعام إلى معدته ولقد نظر أصحاب نظرية التحليل النفسى إلى عملية الامتصاص كمصدر رضا كبير للطفل أكثر من كونها مجرد إشباع للمطالب الغذائية.

وقد أعطت نظرية التحليل النفسى أهمية كبيرة للذة الفمية فى مجال النمو النفسى، حيث تقرر أنه خلال عمليات التمثيل الغذائى وغيره من العمليات الحيوية التى تجرى فى الكائن الحى، تنشأ توترات معينة. فعلى سبيل المثال عندما تصبح إمدادات الغذاء فى الجسم غير كافية وقليلة - يزداد التوتر إلى درجة الشعور بعدم الارتياح الواضح، وهو ما نسميه بالجوع. ويؤدى تناول الطعام إلى إحساس باللذة وخفض التوتر واستمرار الحاجة إلى خفض التوتر والحصول على اللذة بأنواعها المختلفة يتطلب طاقة، ويسمى "فرويد" هذه الطاقة "الليبيدو" أو الطاقة "الليبيدية".

وفى نظرية التحليل النفسى ينظر إلى الفم على أنه منطقة مولدة للذة الشبقية (الجنسية) ويتكون أنسجة تعطى إحساسات باللذة والملاحظون لسلوك الوليد يشيرون إلى التأثر البالغ المصاحب لامتصاص الطفل لأصابعه وإصراره على الاستمرار فى عملية المص لمدة طويلة حتى بعد إشباع جوعه.

وفى أوقات التعب والضيق، على الأخص - يبدو أن الطفل يبدى ارتياحًا كبيرًا ولذة فى النشاط الفمى. وتشعر الأم عادة بالارتياح والسعادة اللتين يشتقهما الطفل من عملية المص، وكثيرة ما تكون مستعدة لأن تمنحه هذه الفرصة وأن تشاركه وجدانيًّا عند سماعه للأصوات التى يصدرها.

وخلال مرحلة الرضاعة المبكرة .. فإن تناول الغذاء. عن طريق حمل الطفل للرضاعة من الثدى، والشعور بالارتياح الذى يشتقه من هذه العملية تعد هى الحياة اليقظة للطفل .. ويتم الإشباع والتوتر من خلالها، والإشباع تأتى اللذة .. وعندما ينشأ التوتر يشعر الفرد بالإحباط والقلق، كما ينشأ الإحساس بعدم الأمان.

والمتخصصون فى رعاية الطفل أهملوا لفترة طويلة عنصر اللذة الذى يحصل عليه الطفل من عملية مص الأصابع، فقد كان اهتمامهم منصبًا على عملية الحصول على الطعام .. ونظروا إلى مص الأصابع على أنه عادة سيئة يجب منعها أو التغلب عليها .. لا لأنها خطرة صحيًّا فقط، ولكن لإمكانية تشويهها للأسنان أيضًا.

ويزداد اهتمام الآباء وانزعاجهم عندما يستمر أطفالهم فى مص أصابعهم إلى مرحلة متقدمة من عمرهم .. وميلهم إلى تجاهل المتعة التى يحصل عليها الأطفال من النشاط الفمى، وما يمكن أن تحدثه من تأثير على نموهم الوجدانى والشخصى.

وهناك نظرية أخرى تقول إن اللذة المرتبطة بالنشاط الفمى تمثل علاقة وجدانية مكتسبة منذ وقت مبكر. فمادام الفم عضوًا نفعيًّا خاضعًا لحافز الجوع .. فإن إشباع حافز الجوع له الأولوية .. ومع التكرار تصبح متعة التخلص من الجوع مرتبطة بالفعل المنعكس الفمى الخاص بالمص .. وتتدعم العلاقة بين المص واللذة فى خبرة الطفل بالتكرار،

ولذلك يصبح الفم عضوًا للذة ويتكرر مع مناطق "الإشباع الليبيدية" الأخرى.

وبصرف النظر عن أصل عنصر اللذة فى المص - فتناول الغذاء يعد مجالاً مهماً من مجالات الخبرة الإنسانية. فمنذ الطفولة المبكرة ترتبط اللذة الفمية بحافز الجوع لتضمين الحصول على غذاء ملائم. لذلك فإن التخفيف من حدة الجوع من خلال النشاط الفمى يشكل مصدرًا أساسيًّا للإشباع واللذة للرضيع. وبناء عليه فإن أول مرحلة من مراحل نمو الوظيفة الغذائية هى أيضًا نفسها أول مرحلة فى النمو الوجدانى وهى ما نسميه "المرحلة الفمية".

وحيث إن حمل الرضيع فى موقف الرضاعة من الثدى يمثل أول اتصال سار بالعالم الخارجى عن ذاته، فإن هذه تعد ذات أهمية بالغة فى نموه المعرفى أيضًا. وطبيعى أن يبدأ الوليد فى الإدراك من النقطة التى يتبلور حولها اهتمامه البالغ. ومن خلال الزوائد الحسية المنتشرة حول المنطقة الفمية يبدأ الوليد فى أن يعى، ويتعرف على العالم الخارجى المحيط به. فهو يرى شيئًا .. "فتلمسه يداه"

فيحس بشكله وتكوينه .. ويجذبه نحو فمه، ويتذوقه .. ويشمه. وبالتدريج يصبح على وعى بالفروق بين خبراته الحسية التى يحصل عليها بيديه .. وقدميه .. وتلك الخاصة بالأشياء التى ليست جزءًا منه .. لذلك فإن اللذة الفمية تعد عاملاً فى النمو المعرفى.

وخلال عملية النضج الغذائى تستمر اللذة المرتبطة بالغذاء .. وتتسع من المنطقة الفمية .. مع اللذة المشتقة من اللمس وإثارة نهايات الأعصاب الحسية إلى اللذة المشتقة من الذوق والشم .. وإلى جانب كل ما سبق ذكره فإن المثيرات الاجتماعية تتعلق بالوضع الأخير.. فالأصوات والألوان والتكوينات .. والأذواق والروائح تصبح جميعها كلا سارًا أو غير سار مرتبط بالأكل. وتتحدد عمليات الحب والكراهية لأطعمة معينة، ويصبح موقف الغذاء عنصرًا مهما فى الحياة الاجتماعية.

والحقيقة أن عادة مص الأصابع أمر يتكرر كثيرًا، بل أنه أمر عادى، وصورة من صور النمو التى قد تزود الطفل بارتياح واطمئنان. ومثل هذا الأمر لا يدلك على أن هذه

العادة تمثل أعراضًا عصابية فى كل الحالات، وإن كانت مؤشرًا قد يكون له دلالة على سوء توافق الطفل. وأفضل طريقة لعلاجه ألا نستخدم القهر وغيره من الوسائل لمنع الطفل من القيام بها، لأنه إذا كانت كل الظروف ملائمة فإنه سيتخلص عنها فى الوقت المناسب عندما تتعدد مصادر الإشباع فيما بعد، وتكون العلاقات فى جو الأسرة وخارجها علاقات حانية محبة ومشبعة.

الفصل الرابع عشر

طفلك والغذاء

من أبرز مشكلات التغذية:-

أولاً: فقدان الشهية (انعدام الرغبة فى الطعام - بطء شديد - تأفف).

1- دائم - يرجع إلى عوامل مزمنة.

2- مؤقت - يرجع إلى عوامل طارئة.

3- فجائى - تصحبه أعراض أخرى ظاهرة. كارتفاع الحرارة أو التقزز أو الغضب أو الحزن.

4- تدريجى - نتيجة لأسلوب الوالدين واتجاهاتهما نحو موقف الطعام.

5- عام - يتناول جميع أنواع الأكل.

6- خاص - يتناول بعض أنواع الطعام دون غيرها.

7- يظهر فى جميع المناسبات.

8- يظهر فى مناسبات معينة - كالأكل الفردى أو على مائدة غير منسقة.

ثانيًا: الشره إلى الطعام (ازدراد الأكل وبكميات كبيرة جدًا)

ثالثًا: التقيؤ أو الشعور بالغثيان وترجيع الطعام.

هناك علاقة قوية مؤكدة بين الحالات الانفعالية والتغيرات الجسمية المصاحبة لها فالانفعالات الحادة مثلاً تؤدى إلى إضعاف وظيفة الجهاز الهضمى - حيث يقل إفراز العصارات الهاضمة أو يتوقف إفرازها - وقد يكون ترجيع الطعام لجذب الاهتمام نحوه. كما يكون تخويف الكبار تعبيرًا عن عقده نفسية أساس انفعالها التقزز أو الخوف.

أسباب فقد الشهية للطعام :

أ- بعض العوامل الجسمية مثل: الإمساك - سوء الهضم. وجود سموم فى الجسم - اضطراب فى الغدد.

ب- نظام التغذية:

- أكل الأطفال لمواد دسمة تحتاج لوقت طويل لهضمها.

- تناول مواد شديدة الحلاوة قبل الأكل.

- عدم انتظام مواعيد الطعام.

- نقص فيتامينات معينة فى الجسم.

ج- عوامل تسبب الانهاك العصبى:

- قلة النوم - سوء التهوية وقلة الرياضة - والجو الحار - العمل المستمر غير المتنوع (الروتينى) الخالى من فترات الراحة - وجود الطفل فى بيئة تثير فيه حالات حادة من الغيظ أو الضحك أو كثرة الكلام أو الضجيج.

- فقدان الشعور بالأمن وزيادة القيود المفروضة على الطفل.

د- العوامل الأسرية المختلفة مثل:

- الريجيم الذى تقوم به الأم لتخفيف وزنها.

- عدم تناول الآباء وجبة الإفطار لأى سبب كان مثل:

- سرعة ترك المنزل إلى العمل - التدخين - السهر الكثير - كثرة التنبيهات التى يقدمها الآباء أثناء الأكل (آداب الأكل) إجبار الطفل أو إغراؤه أو إقناعه بمختلف الوسائل لتناول الطعام عامة أو أنواع خاصة منه.

- القلق الزائد من قبل الآباء على الطفل أو على أنفسهم.

هـ- الوظيفة النفسية لفقدان الشهية للطعام:

- جذب الانتباه للطفل والاهتمام به - عتاب الوالدين وإشعارهما بالذنب عن طريق الاضطراب عن الطعام.

رابعًا: البطء فى تناول الطعام:

وقد يرجع ذلك إلى:

أ- نظرة الطفل إلى تناول الطعام كنوع من اللعب يضيع فيه الوقت.

ب- أو إلى:

1- صعوبات فى المضغ نتيجة لخلل فى الأسنان أو الفكين.

2- التعب والإنهاك.

3- عدم الرغبة فى تناول الأطعمة المعروضة عليه.

4- الاستغراق فى أحلام اليقظة، وكثير من الأطفال ينشغلون بمشكلاتهم الخاصة أو بملاحظة ما يجرى حولهم من الكبار أثناء الطعام.

موقف الآباء من غذاء الطفل :

يختلف الآباء فى درجة اهتمامهم بكمية طعام الطفل ونوعية هذا الغذاء وبدرجة إقبال الطفل على الطعام فبعضهم يهمل كل هذه النواحى، والبعض يصل اهتمامه إلى درجة القلق الزائد.

والطفل الذى يهمله آباؤه قد يحل مشكلاته بنفسه.

أما الطفل الذى يشعر بقلق والديه عليه وعلى غذائه فإنه:

1- يفقد ثقته بوالديه إذا شعر بضعفهما وينهار المثال الأول للقوة الذى يتمثل فيهما.

2- ويمكن أن ينتقل قلق الآباء على الأبناء إلى الأبناء أنفسهم فيصبح الطفل قلقًا على نفسه - ضعيف الثقة بنفسه.

3- وينظر الآباء عادة إلى قلقهم هذا على أنه عطف على الأبناء يجب أن يشكروا عليه.

ومن المعروف أن قلق الآباء يؤثر فى الأبناء من وقت مبكر من حياتهم لا عن طريق الإدراك والتحليل والمعرفة - ولكن عن طريق المشاركة الوجدانية البدائية (التقليد والقابلية للاستهداء).

4- تقنين وجبات طعام الطفل من حيث المواعيد والكميات والقلق إذا ما اختل هذا التقنين.

5- كثيرًا ما تؤدى شدة قلق الآباء إلى زيادة شعور الأطفال بأهميتهم بين والديهم، مما يدفعهم أحيانًا إلى التمسك بما يثير القلق لدى الآباء . كأن يضرب عن الطعام فيثير قلق والديه أو غضبهما، ويكون بذلك قد أحدث فى جو المنزل ظاهرة لا يحدثها إلى الكبار - مما يزيد إحساسه بالقوة والسيطرة، ولا شك أن الأفضل أن يهمل الآباء ما يقوم به الطفل ويلتزموا الهدوء التام إزاء تصرفه هذا.

- والأم كثيرًا ما ترجو طفلها وتتوسل إليه وتغريه بكل الوسائل لكى يأكل، وأحيانًا تجرى وراءه فى المنزل حاملة غذاءه فى يدها لعله يتناوله، وهذا الموقف يشعره بسيطرته على الموقف.

وكثيرًا ما تهدد الأم طفلها إن لم يأكل فيصمم على موقفه فتعود إلى إغرائه وتتنازل عن تهديده - وتتأرجح بين التهديد والإغراء والإقناع وغيرها من الأساليب التى قد تحدث اضطرابًا فى الطفل نفسه، وأحيانًا يترتب عليها

زيادة تمسك الطفل بموقفه لأنه يشعر فيه بقوته، وأحيانًا تشكو الأم من طفلها أمام جيرانها وتطلب نصيحتهم فيما يمكن عمله، وقد يكون ذلك أمام الطفل فيشعر الطفل بمتعة كبرى لأنه وصل إلى ما تشتاق إليه نفسه من القوة والسيطرة فقد جعل شخصًا كبيرًا كأمه يفشل أمامه.

ورفض الطعام يكثر عادة من الطفل الوحيد أو المدلل أي الطفل الذى يحتمل أن تضعف أمه أمامه.

الفصل الخامس عشر

قيمة اللعب عند أطفالنا
هل نعرفها ؟

اللعب ضرورى للطفل ضرورة الهواء الذى يتنفسه ، فهو ميل من أقوى ميول الأطفال الطبيعية وأكثرها أثرًا فى نموهم .. وتطورهم .. وهو مظهر فطرى يميز مرحلة الطفولة فى الإنسان .. والحيوانات العليا .. حيث ينفق الأطفال جانبًا كبيرًا من وقتهم فى هذا النشاط الذى بطلق عليه اسم "اللعب".

واللعب بالنسبة للطفل صمام الأمان لعواطفه .. وهو أبلغ وسيلة للإفصاح عن شعوره .. فهو لا يملك التعبير عنه بالكلمات فإذا تأملنا رسوم أطفالنا ولاحظنا ما يكونوه .. أو أصغينا إلى حديثهم مع الدمى (عرائس أو لعب) لعرفنا الكثير عن دنياهم الخافية.

إن الطبيعة تدفع الطفل إلى صقل حواسه وتدريبها .. واكتساب الخبرات عن طريق التجارب المباشرة و"العمل" والملاحظة. فمن خلال اللعب يكشفون دائمًا عن أشياء جديدة في أنفسهم .. وعن العالم الذي يعيشون فيه .. ويتعلمون كيف يصبحون سادة البيئة التي تحيط بهم .. لذلك يجب أن نتفهم طبيعة اللعب عند الأطفال .. وأن نوجههم .. ونشجعهم .. بدلاً من أن نعوقهم .. ونقف في طريقهم.

والطفل في لعبة ملك يحكم في أرضه بقوة تفوق حقًا قوة أي ملك في الأرض .. أما في الحقيقة فعليه أن يذهب للفراش في وقت معين .. وأن يطيع طائفة من التعليمات الصارمة .. أن ألعابه لا تشغل من وقته ما يصح أن يستخدمه فيما هو أجدى .. فلو أن كل ساعاته صرفت في الجد .. لصار سريعًا .. كتلة أعصاب محطمة.

إن اللعب الذي يساعد على تنمية الجسم والعقل سيساعد أيضًا على النمو النفسي السوي .. وقد يكون هذا الوجه أقل الوجوه وزنًا في نظر الكبار .. ولكنه في الواقع أكثرها أهمية .. إذ يتوقف على الاتزان النفسي للطفل كل

سعادته المقبلة .. وسعادة الآخرين، ويصدق حينئذٍ القول بأن "اللعب مدخل الحياة".

وقد اهتم علماء التربية وعلم النفس باللعب لدى الأطفال .. وقدموا الكثير من الآراء والنظريات لتفسير اللعب وأسبابه ومراحل تطوره لدى الأطفال .. لدرجة أن بعضهم قام بتصميم لعب خاصة تخدم أغراض اللعب التربوية بناء على حاجات الطفل ومتطلباته.

وقد كان للعلاّمة الشهير "**فروبل**" وهو أحد أقطاب علم التربية، رأى فى وظيفة اللعب وأهميته فى تربية الطفل .. حيث قال "إن اللعب مرآة للطفل .. تعكس معركة الحياة التى سوف يواجهها فى المستقبل .. لذلك فإن الإنسان من أجل أن يعد نفسه .. ويقوى على خوض معركة الحياة .. فإنه يبحث عن العوائق والصعاب لكى يتغلب عليها فى اللعب .. وهو ما زال طفلاً .. أو صبيًّا.

كما أكد "فروبل" على بعض المبادئ العامة فى تربية الأطفال .. من حيث الملاءمة بين أساليب ترية الأطفال .. وحاجاتهم .. لذلك ركز اهتمامه .. على اللعب الهادف ..

والذى يتطلب فى رأيه .. صنع وسائل تعليمية تُعرف بالهدايا .. وهذه فى حملتها تفيد فى تنمية الاستعدادات الكامنة لدى الأطفال .. كما أنها توجه نشاطهم توجيهًا صالحًا .. وهذه الهدايا (اللعب) تحتاج إلى طرق فنية خاصة تعتمد على قوانين النمو المتدرج .. ويجب أن تتوافر فيها شروط أهمها بعث السرور والبهجة لدى الأطفال.

كما اعتبرت عالمة نفس شهيرة تدعى **"ماريا مونتسورى"** أن اللعب هو لب عملية التعليم .. وقد استخدمت في طريقتها لتعليم الأطفال أجهزة صممتها بنفسها بحيث كان هدف كل جهاز منها هو تأدية غرض تعليمى معين.

ويعد اللعب إعدادًا للحياة .. فمن خلال اللعب .. نستطيع أن ندرس طبيعة الطفل .. وهذا يتضمن أن نتيح الحرية للأطفال فى اختيار ألعابهم .. ولعبهم. ولطبيعة اللعب .. ووظيفته تفسيرات مختلفة نستعرض أهمها.

فهناك من يقول بأن اللعب ما هو إلا تعبير عن تراكم الطاقة الفائقة لدى الأطفال، فنموهم لا يستنفذ كل ما يتولد لديهم من طاقة، ومن ثم يدفعهم فيض الطاقة إلى اللعب.

وهناك من يرى أن **اللعب مهرب من تعب الحياة ووسيلة الفرد لتجديد طاقته** .. واستمتاعه بالحياة. وهناك من يقول بأن كل طفل يميل إلى أن يكرر فى حياته أنواعًا معينة من النشاط كانت مميزة لتطور الجنس كله.

ويرى بعض العلماء أن اللعب له وظيفة حيوية وهى إعداد الصغار لحياة الكبار.

أما علماء التحليل النفسى .. فيرون أن اللعب يقوم بوظيفة مهمة فى حياة الطفل النفسية .. وهى معاونته على التخفف مما يعانيه من قلق .. فاللعب "عندهم" هو تعبير رمزى غالبًا عن رغبات مُحبطة أو مخاوف ملازمة للطفل .. أو متاعب لا شعورية وهو تعبير من شأنه خفض مستوى التوتر والقلق لدى الطفل. وقد استخدم علماء التحليل النفسى **اللعب كوسيلة للعلاج.**

وهناك من يقول بأن اللعب الرمزى صورة من صور تفكير الطفل تتمشى مع طبيعة عقله، وغرضه الرئيسى هو إرضاء ذاته .. فالطفل الصغير من سن سنتين إلى أربع سنوات لا يستطيع أن يميز فى أثناء لعبه الرمزى بين

الحقيقة والرمز .. كما أنه لا يهمه إقناع الآخرين بذلك طالما أن هذا اللعب الرمزى هو إشباع مباشر لرغباته .. وله طريقته الخاصة فى التفكير .. وهى تحويل الحقائق الخارجية بحسب ما يرتضيه هو .. وتدريجيًّا مع النمو نجد أن الربط بين الأصل والرمز يزداد وضوحًا فى ذهن الطفل حتى يصل إلى أقصاه من الرابعة إلى السادسة .. ثم يأخذ عامل التوافق فى الوضوح بالتدريج فى تفكير الطفل من سن السابعة إلى سن الحادية عشرة .. إلى أن يتم تكوينه العقلى الناضج .. فيميز بوضوح بين الحقيقة .. والخيال.

الفصل السادس عشر

ماذا نعرف عن أطفالنا .. واللعب الإيهامى ؟

"تعال نتوهّم"، "تعال نتظاهر بأننا"، "تعال نتصوّر بأننا" عبارات بمعانى متشابهة تصوّر لسان حال الطفل وهو يقوم باللعب الإيهامى، أو اللعب النموذجى فى هذه المرحلة، حيث يعامل كرسيًّا مقلوبًا كما لو كان سيارة، أو قطعة من الصلصال كما لو كانت كعكة، أو عصا المكنسة كما لو كانت حصانًا، أو يجعل من إبريق الشاى اللعبة إبريقًا حقيقيًّا مليئًا بالشاى، ويصبّ منه ويتظاهر بالشرب، أو يجعل من صندوق منزلاً يدخل فيه دميته ويخرجها، أو يدعى أنه بائع فى محل ويقوم بالبيع، وربما بالشراء أيضًا، أو تتوهّم الطفلة أن دميتها هى طفلة حقيقية تبكى، ثم تقوم هى بتهدئتها، وهكذا ... مما نطلق عليه اللعب الإيهامى، أو اللعب الادعائى.

إن الطفل فى هذه المرحلة يصرف معظم وقته فى هذا اللون من اللعب، والواقع أنه لا يصرفه سدى، فهذا اللعب يؤدى دورًا كبيرًا فى النمو المعرفى والانفعالى، والاجتماعى للطفل فى هذه المرحلة. هذا فضلاً عما يمكن أن يفيدنا، نحن الكبار فى الاطلاع على أسرار كثيرة فى حياة الطفل النفسية، وعلاج ما يُعدّ منها عقبة فى سبيل نموه.

ويرى علماء النفس أن اللعب الإيهامى هو التحوّل من النشاط الوظيفى العملى إلى النشاط التصوّرى، أى من الأفعال إلى الأفكار، وعلى ذلك فإن السماح لهذا اللون من اللعب أن يزدهر وينمو، إنما يقدّم للطفل فرصة هائلة لكى ينمّى قدراته المعرفية التى تمكّنه من التفاعل على مستوى تجريدى مع العالم الواقعى فيما بعد.

ويبدأ اللعب الإيهامى فى حوالى سن السنة والنصف من حياة الطفل، بعد أن يكون قد اكتمل لديه مفهوم دوام الشىء. وكما سبق أن أشرنا مرارًا فإن الطفل ما كان ليستطيع أن يتعامل مع رموز الأشياء، بدلاً من الأشياء ذاتها، إذا لم يكن قد استطاع أن يحتفظ بصورٍ ذهنية

للأشياء والأحداث، بعد زوالها عند إدراكه الحس. على أن ذلك التعامل مع الأشياء كما لو كانت موجودة، وليس مع وجودها الفعلى، يظل فى تلك الفترة معتمدًا على الوجود الفعلى لأشياء شبيهة بالأشياء الحقيقية (الأصلية).

فالطفل فى تلك المرحلة يمكنه أن يتظاهر بأنه ينام فيغمض عينيه، أو بأنه يشرب من إبريق لعبة ليس فيه شىء، أو يتحدث عن طريق الهاتف (إذا وجد أمامه هاتف لعبة)، أو يقوم بأى لعب ادعائى آخر تناسب فى حالة وجود لعب تمثّل ما يريد أن يدعيه، كوجود لعب تمثّل السيارات، أو الأدوات المنزلية، أو الدمى التى تشبه الأطفال وهكذا. فعندئذٍ فقط يمكنه أن يتظاهر بالقيام بنشاط تستخدم فيه هذه الأشياء، كما لو كانت حقيقة. كما يتميّز اللعب الادعائى فى تلك المرحلة أيضًا (عند سن السنتين) بأنه يمثّل حركات بسيطة. كالأكل من ملعقة فارغة، أو الشرب من فنجان فارغ، أو التظاهر بالنوم بإغماض العينين.

على أن اللعب الإيهامى بعد تلك الفترة (أى بعد

الثانية) يبدأ فى التطوّر فى اتجاه أكثر تعقيدًا. فنجد فى سن الثالثة أن الطفل يبدأ فى الاستغناء عن وجود اللعب المشابهة للأشياء الحقيقية عند تظاهره بالقيام بأى نشاط يريده فلا يصبح لديه أى مانع من استخدام صندوق مثلاً، بدلاً من العربة اللعبة، لكى يتظاهر بقيادة السيارة، أو من استخدام العصا بدلاً من الحصان، لكى يتظاهر بركوب الخيل وهكذا.

هذا التحرر الجديد من الواقع. أو الشبيه بالواقع. يساعد الطفل فى هذه المرحلة أيضًا على أن يقوم بعدة أنشطة. أو بعدة عمليات، فى وقت واحد أثناء لعبه الإيهامى بعد أن كان يقوم بعملية واحدة فقط. فعندما يلعب لعبة رجل الإطفاء مثلاً. نجد الطفل بسهولة يجعل من نفسه سيارة الإطفاء، والخرطوم، والسلم، وصفارة الإنذار، بل والبيت المحترق نفسه. وجميع الأفراد الذين يشتركون فى هذا الموقف سواء كانوا من الضحايا أو المنقذين ولا شك فى أن هذا التطوّر الذى يتضمنه الرمز لعدة عمليات معًا، هو درجة من التعقيد فى اللعب الإيهامى تنمّ عن نمو فى كل من القدرة الحركية والقدرة المعرفية معًا.

وهناك مظهر آخر من مظاهر التطوّر فى اللعب الإيهامى، هو أن الطفل فيما بين سن الثالثة والرابعة، يبدأ فيما نسميه بلعب الأدوار، أو اللعب التمثيلى، ويصل هذا الاتجاه إلى حده الأقصى فيما بين الخامسة والسادسة.

وفى هذا النوع من اللعب التمثيلى الدرامى يقوم الطفل بإبداع شخصيات لأبطال أو بطلات مما يشاهدون فى التلفزيون، أو يسمعون عنه فى القصص، أو قد تؤدى بهم المبالغة فى الخيال، إلى أداء شخصيات تتمتع بقوى خارقة، فيتصورون أن بإمكانهم الطيران، أو الاختفاء عن الأنظار، أو التحوّل إلى أشياء أخرى بمعاونة كلمات سحرية أو إشارات سحرية. وربما كان أهم الأدوار التى يبتدعها الطفل فى لعبه الإيهامى هذا وأشدها تعقيدًا وحبكة فى نفس الوقت، هو دور الصديق الوهمى الذى قد يكون طفلاً، أو حيوانًا، أو أى كائن من أي نوع.

الفصل السابع عشر

أطفالنا .. وثقافة الاستهلاك !
هل يتأثر الطفل بنمط السلوك الاستهلاكى لأبويه؟!

الطفولة رائدة المستقبل، والعناية بتنشئتها أمر تمليه حاجات المستقبل وتلح عليه دنيا الحاضر وتحفز نحوه، عبر الماضى ودروسه.

ومن هذا المنطلق أصبحت تنمية الطفولة والاهتمام بثقافتها وتنشئتها تنشئة سليمة مكونًا أساسيًّا من مكونات التنمية الشاملة، كما غدت رعاية حقوق الطفولة أولوية مقدمة فى جهود التنمية.

ولا يمكن للثقافة أن تشكل الشخصية، وتصوغها، وتتبلور فيها إلا عن طريق عملية الصياغة الاجتماعية أو التنشئة الاجتماعية (Socialization) وهى عملية إدماج الطفل فى الإطار الثقافى العام عن طريق إدخال

(Internalization) التراث الثقافي في تكوينه وتوريثه إياه توريثًا متعمدًا بتعليمه نماذج السلوك المختلفة في المجتمع الذي ينتسب إليه، وتدريبه على طرق التفكير المختلفة السائدة فيه، وغرس المعتقدات الشائعة في نفسه فينشأ منذ طفولته وقد تغلغلت في نفسه، وأصبحت طبيعة ثانية له، أي أصبحت من مكونات شخصيته.

ونظرًا للأهمية البالغة لعملية التنشئة الاجتماعية، فإن كل مجتمع ينظمها "Institutionalize" أي يجعلها تنشط ويصير لها فعالية في إطارها المحدد باعتبارها نظامًا اجتماعيًّا. وهناك مجريان رئيسيان تسير فيهما عملية التنشئة الاجتماعية، الأول عن **طريق السلطة على الفرد، والثاني عن طريق المساواة مع الفرد.** أما المجرى الأول لعملية التنشئة الاجتماعية، فيتمثل في الأسرة، والمدرسة، والمؤسسة الدينية، وتمارس كل منها سلطة على سلوك الطفل وتعد مسئولة عن تهذيبه وانضباطه.

وأما المجرى الثاني لعملية التنشئة الاجتماعية، فيتمثل في ثلة الأقران (Peers) التي تعلم الطفل ثقافة

الأطفال (Child Culture) ومن خلال تفاعله مع هؤلاء الأقران، يتعلم الطفل كيف يتوافق معهم، وتظل عملية التوافق مع ثلة الأقران هذه مستمرة طوال حياته.

والطفل العربى يقاسم كل أطفال العالم صعوبة التلاؤم أثناء نموه مع عالم اليوم السريع المتطور، إلا أن طابع إعداده يجب أن يجعله أهلاً لفهم مدلول القيم التى أورثتها إياه الأجيال السابقة، وصيانة التقاليد ودعمها، بحيث يصبح بإمكانه فى الغد أن يواصل تبليغ ما ورّث إلى الأجيال التالية، ورغم كل ذلك تبقى هذه الأجيال مستعدة للعيش وسط سلاسل من التغيرات الاجتماعية والثقافية.

والثقافة الاستهلاكية ظاهرة عالمية، لا تقتصر على مجتمع بعينه، أو فئة بعينها من الناس.

ويستخدم مفهوم الثقافة الاستهلاكية للإشارة إلى مجموع المعانى والرموز والصور، المصاحبة للعملية الاستهلاكية أو السابقة عليها أو اللاحقة لها، وهى بذلك تتصل بجوهر المعانى والممارسات الكامنة فى الحياة اليومية للأفراد والجماعات.

الطفل العربى فرد فى أسرة، مستهلك للغذاء والملابس واللعب، والمصروف وما تملكه الأسرة من أجهزة وأدوات، **والتنشئة الاستهلاكية هى العملية المستمرة التى يتعلم الطفل العربى خلالها، المعارف والمهارات والاتجاهات التى تتناسب مع السلوك الاستهلاكى المتعلق بالحصول على المنتجات أو الخدمات واستهلاكها.**

تتطلب التنشئة الاستهلاكية السليمة، إكساب الطفل حقائق، ومهارات، وقيم معينة، منها الاتجاه نحو ترشيد الاستهلاك، وحيث أن كثيرًا من المعلومات والبيانات المتعلقة بالاستهلاك، وتوجيه المستهلك وتكوين الاتجاهات السليمة لديه ليست فطرية وإنما هى مكتسبة، فلابد إذن من دراستها، وممارستها، وربطها بجوانب الحياة اليومية، ومتطلباتها الأساسية.

هذا إلى جانب أن هناك دراسات، أظهرت أن سلوك الأم الاستهلاكى والمعلومات الخاصة بهذا السلوك والتى تسعى الأم لتعليمها للطفل، لها تأثير فى تقويم الطفل للسلعة، وتؤكد دراسات أخرى أن وجود القدوة السليمة،

وبخاصة فى فترة الطفولة تساعد على سرعة التعلم، وغرس العادات، والقيم والاتجاهات الصحيحة نحو الاستهلاك والتركيز على المفاهيم الخاصة بترشيد الاستهلاك. كما أن توافر الفرصة المناسبة للطفل من الصغر للمشاركة فى عمليات الاختيار والشراء، تنمى لديه القدرة على حسن الاختيار، مع تعويد الطفل على الاقتصاد والتوفير، وتقليل الفاقد فى كل نواحى الحياة الاستهلاكية.

وتتشكل الهوية الاستهلاكية للطفل العربى، بتأثير من **أقرانه (Peer Group)**، الذين قد ينشرون أو يؤكدون أهمية سلع استهلاكية معينة، قد تكون مجرد سلع ترفيهية يترتب عنها إفراط شديد فى استهلاك غاب عنه الترشيد، لكنها تعطيه التميز، وتكسبه القبول بين ثلة أقرانه.

أما مجالا **الإعلام والإعلان** فيشتركان أيضًا فى التنشئة الاستهلاكية للطفل العربى، بعمليات الترغيب والتحبيب المستمرة التى تلهب عقل الطفل العربى وأنظاره سعيًا وراء مزيد من الاستهلاك.

وثقافة الاستهلاك الترفى ترتكز على إنفاق المال على

سلع كمالية وفى مناسبات غير ضرورية، وتكرس الإسراف، والتبذير بقصد التباهى وحب الظهور وتعويض نقص اجتماعى معين.

ويعد الاستهلاك الترفى مرضًا اقتصاديًا اجتماعيًا لمخاطره، وآثاره، ويتأثر الطفل العربى بنمط السلوك الاستهلاكى لوالديه والمحيطين به منذ الصغر، وعملية التنشئة الاستهلاكية هى عملية مستمرة يتعلم الطفل من خلالها المعارف، والمهارات، والاتجاهات التى تتناسب مع حصوله على المنتجات.

والثقافة الاستهلاكية هى ثقافة صور وتصوير، فى جوهرها، ويتبدى ذلك فى تعاظم صناعة الصور المتحركة، وازدياد الإعلانات التجارية المصورة فى الصحف والمجلات وأجهزة التليفزيون، بحيث صارت تلك الإعلانات أهم قنوات نقل الثقافة الاستهلاكية.

الفصل الثامن عشر

أطفالنا خطوة خطوة ..
إلى الحياة الاجتماعية

الملاحظ أن الطفل قبل الثالثة لا يكون قادرًا على إقامة أية علاقات اجتماعية .. وفى الواقع .. أن هذه الملاحظة .. تكون مطابقة للحقيقة .. إذا كان المقصود بالعلاقة الاجتماعية .. القدرة على معايشة الآخرين .. مع توافر قدر من المشاركة العاطفية ..

فالطفل حتى الثالثة من عمره .. **يعيش فى عالمه الخيالى الساحر.. الذى يعتبر نفسه فيه المحور الأساسى .. ولا يقبل وجود قرين له .. أى زميل فى مثل عمره .**

ويمر الطفل بتجارب تعده لمقابلة الآخرين .. وهذه هى الخطوات الأولى فى الحياة الاجتماعية .. فمنذ ولادته .. وطوال عامه الأول .. لا يكون له كيان إلا من خلال علاقة رمزية بأمه .. تلك العلاقة التى تسبق تعرفه عليها .. وهذا

لا ينفى اتصال الطفل بأشخاص آخرين مثل أبيه وأفراد أسرته .. وإن كان لا يشعر أو يسجل من هذه العلاقات .. علاقته بأبيه .. التى يجدر بنا .. أن نتوقف عندها قليلاً. إذا كان الأب .. يشارك طفله حياته مشاركة حقيقية .. فإنه يضع تحت تصرفه مصدرين لاستقاء المعلومات .. إذ يكون للطفل شخصان يقارن نفسه بهما .. ويوجه إليهما الأسئلة.. ويجعل منهما مجال اكتشافاته .. سواء بالنظر.. أو اللمس.

وفيما بعد .. عندما يبلغ الطفل الثالثة من عمره .. تتعقد علاقته بأبويه بالضرورة .. إلا أن علاقته بأبويه .. تعود عليه بفائدة كبيرة .. فهو يتعلم بفضلها .. كيف يتأقلم مع حقيقتين مختلفتين .. وكيف يتلقى الأوامر المختلفة .. أو الأمر الواحد .. معبرًا عنه بطريقتين مختلفتين .. وفى النهاية.. فإنه يتعود معايشة شخصيتين بدلاً من شخص واحد.

ولا تقتصر الفائدة العائدة على الطفل من هذه المعايشة على مجرد تزويده بالمعلومات .. بل تمتد أيضًا إلى الناحية العاطفية .. إذ ستمكنه من اكتشاف أن أمه تدلله.. بطريقة تختلف عن تلك التى يدلله بها أبوه .. وأن هناك بعض تصرفات له تروق لأمه .. وأن غيرها تروق لأبيه والنتيجة التى يخرج بها الطفل .. هو أن إحساسه يثرى من الناحية العاطفية.

ويتضح الطابع الناقص لبداية الحياة الاجتماعية عندما نواجه طفلاً فى السنة الأولى من عمره .. بأطفال فى مثل سنه .. أنه لا يشعر تجاههم بالخوف الذى يشعر به تجاه الغرباء. لكنه رغم ذلك .. يعاملهم كاللعب .. وليس كأنهم أشخاص مثله .. ويحاول اكتشافهم .. باستخدامهم الأيدى والفم .. الذى يظل بالنسبة له .. من أهم أدوات التحدى .. وأحيانًا يصفعهم صفعات رنانة .. بغرض اختبار مدى مقاومتهم .. وفى الواقع أن الطفل فى هذه السن المبكرة لا يهتم بضحكات الآخرين .. ولا ببكائهم .. ولا بطريقة تصرفهم .. ومن ناحية أخرى .. نجده يبكى بحرارة عند فراقهم .. وكأن أحدًا قد انتزع منه لعبة مسلية.

وعندما يبلغ الثانية. أي عندما يبدأ الكلام .. يكون فى استطاعته الاتصال بالأطفال الآخرين .. ونلاحظ أنه لا يستخدم هذا الاتصال .. إلا فى الحالات الضرورية .. كأن يقول على سبيل المثال : أعطنى سيارتك .. اعطنى مرتبك .. ولا يتعدى ذلك .. ولن يشعر تدريجيًا بحقيقة الكائنات الحية إلا عندما يقترب من الثالثة .. لكنه لم يكن قد بلغ النضج الذى يمكنه من مشاركة أقرانه من الأطفال ويمكن التحقق من ذلك بمراقبة الأطفال أثناء اللعب .. إذ يكون كل طفل مشغولاً بعالمه الخيالى الخاص به .. ومن المستغرب أن نرى

الطفل يعلق بصوت مسموع على أفعاله .. ثم يتوقف من آن لآخر .. ليرى انطباع ذلك على الآخرين .. وهذا دليل قاطع .. على أنه قد بدأ يعيرهم أهمية .. ومن العلاقات الأخرى .. التى تؤكد أنه قد بدأ يشعر بوجود الأطفال الآخرين .. حب الظهور .. والخيلاء .. والمنافسة.

والمنافسة بين هؤلاء الصغار.. تختلف عما يمكن أن تكون عليه الخلافات بين شخصين بالغين .. فطفل الثالثة .. يعتبر زميله صورة أخرى من نفسه .. فلا يفرق بينه وبينها على الإطلاق .. ولا يعترف له بشخصية مستقلة بذاتها .. لها مطالب وحقوق .. بل يعتبره "زميل - لعبة" فهو يمثل فى نظره الدراجة.. أو العروسة .. أو الكوب .. إذا كان يشعر بالظمأ .. أي انهي مثل الشيء الذى يصبو إليه وينتج عن ذلك .. أن الطفل إذا تبين أن صديقه الذى يرى فيه صورة أخرى من نفسه .. يملك دراجة .. لا يجد سببًا يمنعه من امتلاك الدراجة .. ويصدم عندما يفاجأ بمقاومة صديقه له وامتناعه عن إعارتها إياه .. كل هذه لأنه ما زال يعيش المرحلة التى يعتبر نفسه فيها محور كل شيء .. فهو يرى الأشياء من خلال احتياجاته.

والتنافس بالمعنى الصحيح لا يبدأ فى الظهور .. إلا فى الرابعة .. فالطفل إذ ذاك يعتبر أن لعبته جزء منه .. ولا يقبل أبدًا أن يستخدمها أحد غيره .. ومن هنا تنشأ

المشاحنات للاستحواذ على هذه اللعبة أو تلك .. ورغم عنف هذه المشاحنات .. إلا أننا يمكن أن تعتبرها علاقة اجتماعية.

ثم يأتى اليوم الذى يرفض الطفل فيه .. اللعب التى لا تتطابق مع الأشياء الواقعية .. وعندئذٍ يطالب بأسلحة .. لا تفترق فى شىء من الأسلحة الحقيقية .. وأجهزة مصغرة لتلك التى تستخدم فى الأعمال المنزلية .. للقيام بنفس ما يقوم به الكبار.. كما يهوى السيارات التى تصور بدقة السيارات العادية.

والحقيقة أن الحياة الاجتماعية ضرورة لا غنى عنها لنمو الأطفال المتقاربين فى العمر.. فالطفل فى حاجة إلى التفاهم مع أقران له .. متى بدأ يفهم وضعه فى محيط الأسرة.. وكثيرًا ما يقوم الطفل بمحاكاة الكبار فى جميع تصرفاتهم أثناء لعبه مع أصدقائه .. وبذلك يثبت أنه قادر مثلهم تمامًا .. على التصرف بدون مساعدة من أحد .. وهو بذلك ينمى قدرته على التأقلم على الحياة .. ومن جانب آخر.. فإنه يجد فى زملائه ما يعوضه عن الحرمان من السلطة التى يعانى منها.

والملاحظ أن الأطفال يقبلون على مصادقة زملائهم بطريقة تلقائية .. غير أن هناك من يعانون من نوع من الاستحياء. وفى هذه الحالة يجب تشجيعهم على عقد مزيد من الاتصالات الاجتماعية بأن تقربهم من أطفال آخرين ليسوا أقل منهم حياءً .. أو بأن تهديهم لعبة كفيلة بأن تجذب بالضرورة أنظار الأطفال الآخرين ..

فيقبلون على مصادقتهم تلقائيًّا .. ويجب أن تكون اللعبة قابلة للإعارة بسهولة كالدلو.. أو الجاروف. وما إلى ذلك.

ويرتبك تصرف الطفل تجاه أصدقائه .. ارتباطًا وثيقًا بموقف أبويه منه فإذا كان يعاملانه بشدة .. فسيولد ذلك لديه شعورًا بالذنب .. ورد الفعل الذى يستتبع ذلك .. هو الإسراف فى الالتصاق بهما بهدف الحصول على رضاهما وصفحهما .. وعندما يوجد مثل هذا الطفل وسط مجموعة من الأصدقاء يكون أكثرهم خضوعًا .. وخوفًا من الوقوع فى الخطأ .. ويتحاشى دائمًا عقد صداقات جديدة .. أو محاولة الاشتراك فى لعبة لم يسبق له ممارستها.

أما إذا كان الأبوان يمنحان طفلهما الحرية المطلقة .. التى يمكن أن تترجم بعدم الاهتمام من جانبهما فإن هذا سيؤدى إلى ميل طفلهما إلى التصرفات العدوانية وكثرة المنازعات بينه وبين أصدقائه، أو على عكس ذلك فقد يبدو سلبيًّا.

أما إذا ترعرع الطفل فى جو من الثقة فى نفسه وفى الآخرين .. وشعر بأنه موضع تقدير وعطف .. وأن هناك من يحميه .. ويكن له الحب لذاته .. ليس من أجل ما هو قادر على عمله فحسب .. فإنه يصبح سهل المراس .. ودودًا .. محبًا للآخرين .. قادرًا على كسب ودهم، وهذه هى بدايات الحياة الاجتماعية الإيجابية الحقيقية.

الفصل التاسع عشر

كيف نكتب للأطفال؟

"أقوى الذكريات وأشدها تكاد تكون دائمًا ذكريات الطفولة"

"فيودور دستوفيسكى" "أعظم الاحترام ما ينبغى أداؤه للصغار".

"جوفينال الاهاجى" "هل ثمة شىء مثل كتاب للأطفال".

تأليف الكتب للأطفال، من الناحية المثالية، يجب أن يكون موهبة وكفاءة وقد ألف عدد ضخم من الكتب للأطفال، وخصوصًا فى الثلاثين سنة الماضية.

وينبغى لكتاب الأطفال أن يكرسوا أنفسهم للكتابة وفق شعار: ما يصلح للأطفال هو الأفضل فقط. الطفولة الآن قصيرة جدًا .. وتصبح أقصر كلما حثت قوى التليفزيون والأقمار الصناعية خطى النمو، ينبغى أن تحتوى مادة قراءة الأطفال الآن على كثير من الفيتامينات.

يجب أن يكون كاتب الأطفال، من الناحية المثالية، شاعرًا شبه مجنون، يحمل فكرة رائعة، إذا لم يودع تلك الفكرة المدهشة إلى الورق، فالأفضل أن يعمل شيئًا آخر مختلفًا تمامًا

لكى يكتسب تجارب جديدة وثرية، لأن الكبير لا يستطيع أن يعيش طوال الوقت فى عالم الأطفال، فذلك شىء غير طبيعى وغير نافع. ويجب على المعلمين أن يعملوا شيئًا آخر إلى جانب التدريس، وعلى الوالدين أن يبتعدوا عن أطفالهم بين حين وآخر. ولابد لكتاب الأطفال أن يوسعوا أذهانهم ومداركهم بالطريقة نفسها، وألا يلتمسوا الأعذار دائمًا للتجارب الأقل شأنًا.

إن من واجب كاتب الأطفال، أن يبين لهم، أن العالم ليس مكانًا بسيطًا، بل هو بعيد عن ذلك .. العالم ثرى للغاية.. وغريب ومحير، وعجيب، وغامض، وجميل، ولغز يتعذر تعليله .. وإننا محاطون بمدلولات لا نستطيع أن نفهمها إلا بشكل غامض مهما حاولنا أن نتعلم.

وما أشد متعة الأطفال، وما أشد انسجام ذلك مع ملاحظاتهم الخاصة، والحقائق التى لا ريب فيها .. عندما نخبرهم بذلك - على أن نخبرهم أن العالم بسيط، مرتب، منظم، وكل شىء فيه مرسوم بخرائط، ويقدم الكومبيوتر أدق المعلومات عنها، وليست فيه مناطق غير مستكشفة.

والأطفال بحاجة إلى أن يحصلوا على مغزى وجودهم، وعلى الحلقات البدائية التى تربطهم بالماضى غير المستكشف، فيما يقرأون من قصص، وأن يتفقوا على التشابه فى النماذج بين الكبير والصغير، القديم والجديد، وهم بحاجة إلى تلقى شىء يمتد وراء الواقع الاعتيادى.

ويجب ألا تكون قصص الأطفال .. مجرد قطع من الخيال التى تستعمل لتزجيه ساعة من وقت الفراغ .. وقد استخدم القصص، منذ بدء الجنس البشرى .. الكهنة والشعراء البطوليون .. ورجال الطب كوسائط لمواجهة المشكلات التى لا يمكن حلها .. والحقائق التى لا يمكن تحملها.

يجب أن تهب القصة للطفل لمحة، أو رؤية تصحيحية، أو بيانًا أن الأشياء ليست بالضرورة كما تبدو.

ولا يحتاج أصغر الأطفال نصًّا أبدًا، ويكون سعيدًا بالتفرج على الصور، سواء أكانت تسرد قصة أم لا ، وقد بدأ الفنانون هذا النوع من الكتب، بينما لا يفكر الكتاب بالكتاب من الزاوية المصورة بل يقصدون أن تحمل كل صفحة نصًّا، مهما كان متعلقًا بالحد الأدنى منه .. والحد الأدنى هو الكتاب الأبجدى .. وتكون الكتب الأبجدية فى كل صف: الحيوان، والأسرة، والزهور، سواء أكانت جادة أم تافهة.

وتعد المكونات البصرية واللفظية لقصة الطفل الصغير ذات أهمية متساوية، وغالبًا ما يتم إنجاز الصور والنص بين شخص واحد.

إن علينا ونحن نكتب لصغار الأطفال، أن نبحث عن ملكات الطفل العقلية التى توقظها الطبيعة أولاً، والتى

تكون، بناء على ذلك، المجال الأول للرعاية ونعني بذلك الذاكرة والخيال.

أما مدى مادة الموضوع فى رواية الأطفال من ذوى العمر المتوسط، بين التاسعة والرابعة عشر فواسع جدًا .. فليست الشئون المنزلية والقصص المدرسية، والمغامرة سواء داخل الوطن أم خارجه، وقصص البحر، والمسرح والباليه، والسيرك، والمشاهد السينمائية، والحروب، والتاريخ، والخيال العلمى، والخيال العام إلا بعضًا من هذه الإمكانات الكثيرة. وهذا هو ما يجعل هذه الفئة العمرية جذابة للغاية.

والأطفال حتى عمر الثانية عشرة أو الرابعة عشرة غير مستعدين لقبول نهايات مأساوية، ولهذا فإن يفضل أن تكون الخاتمة سعيدة والأطفال من الفئة العمرية المتوسطة، لا يزالون غير منفصلين تمامًا عن عالم حكاية الجان، ويرون أن الحق محتوم له النصر، وأن انتصار العقل والفضيلة فى نهاية القصة توكيد لمبادئ الاستقامة أكثر من كونه بيان حقيقة، إلا أنهم لم يبلغوا إلى الآن المرحلة التى يرغبون، أو يرغب لهم أن يواجهوا أسوأ احتمالات الواقع.

أما روايات المراهقين ومتى ابتكر هذا الاصطلاح أول مرة فمن المعلوم أنه حتى الحرب العالمية الثانية، كانت

الكتب تقسم ببساطة إلى كتب ناضجين وكتب أطفال، ولم تكن بين الاثنين صلة. وفى عام 1951 كان **ج.د. سالنجر**، الذى بدأ الكتابة وهو فى الخامسة عشرة من عمره، قد أخرج رواية "حارس حقل الشيلم" وهى صورة مؤثرة عن صبى أمريكى فى السادسة عشرة من عمره له مشكلات مع المدرسة ومع والديه.

وفى سنة 1959 بيع من **"مرحبًا أيها الحزن" لفرانسواز ساجان"**، البالغة ثمانية عشر عامًا، 850.000 نسخة فى فرنسا، وترجم إلى كثير من اللغات.

ظهر هذان الكتابان فى بدء ما صار فيضانًا، ثم جاء "المنافس" وجيل الشباب الشعبى، ولم يصبح المراهقون فجأة موضوع اهتمام فقط، بل أقيمت لهم مهرجانات فى الهواء الطلق واستغلت مواهبهم وأصبحت لهم أهمية تجارية .. واستمر الأمر على تلك الحال. وصارت مشكلات المراهقة مادة صالحة دائمًا للجرائد والكتب . وأضحت سوق المراهقين للملابس والموسيقى والأجهزة الكهربائية والمشروبات والطعام والمجلات وغيرها، أضحت من أشد المنافسين لسوق الكبار وصاروا أكثر مالا واختلاطًا ومعرفة بكثير من الأمور من ذى قبل.

ومن اليسير أن نستنتج أن كثيرًا من روايات المراهقين صارت تدريجًا وفيرًا فى هذه السوق النهمة .. وإذا

كان المراهقون يمتلكون المال كشراء أجهزة الستريو، والجينز، ومسايرة أحدث التسريحات، والذهاب فى رحلات متنوعة، فلماذا لا يشترون قليلاً من روايات المراهقة أيضًا.

وروايات المراهقين تناقش فى الوقت نفسه مشكلاتهم المعقدة جدًا، ويمكن أن تقدم تحديًّا ممتعًا للكتاب الذين يشعرون أنهم مؤهلون للعمل فى هذا الميدان.

معايير روايات المراهقة هى فى الحقيقة، عكس معايير الفئة العمرية المتوسطة تمامًا .. فلم تعد تحتاج لحبكات دقيقة معقدة ذات نهايات جيدة التنظيم سعيدة أو متفائلة فى الأقل، فالمراهقون هم بطبيعتهم متشائمون. وهم فى أثناء فترة تطورهم يميلون إلى الانعتاق من جميع الأنظمة التى تقيدهم فلا يهتمون بالحبكات، بل يهتمون بالعواطف.

وواجب رواية المراهقة تصوير الموجات المتعاقبة من المشاعر المتوهجة لدى المراهقين، وهم يصارعون فى علاقاتهم المتغيرة مع والديهم، وفى همومهم المدرسية، ومدركاتهم الجنسية المتنامية، وبحثهم عن هويتهم، وتوافقهم مع مجتمعهم أو اختلافهم معه، رواية المراهقة رواية شخصية وهى بهذا الخصوص أقرب إلى رواية الكبار الناضجين من روايات الفئة العمرية السابقة.

الفصل العشرون

علموا أطفالكم الحب

إنّ الأطفال الذين يستمتعون فى باكورة حياتهم بالخبرات الحلوة العذبة، والذين يشعرون بالطمأنينة التى تفيض عليهم من آبائهم وعطفهم، يكتسبون اتجاهًا نفسيًّا سعيدًا نحو الحياة والناس. أمّا المحرومون من ذلك الجو الهادئ المنعم بالحب والرضا المادى والمعنوى فيحسّون عجزًا.. وقصورًا .. عن مسايرة الحياة.

إن الأطفال لفى حاجة إلى الفرص المختلفة، المناسبة، ليشعروا أنّهم محبوبون، وأن فى مقدورهم أن يمنحوا الآخرين ممّا لديهم، ليقيموا صداقات تناسب أعمارهم، وليراعوا حقوق الناس وممتلكاتهم، ولينعموا بالمتعة الفيّاضة حينما يؤدّون أعمالهم، وحين يلعبون ويلهون، حينما يشاركون الناس فى حياتهم ودنياهم.

الأطفال الذين يحيون فى بيوت تربطها بالآخرين صداقات وطيدة، وحياة سعيدة، ينعمون بالصداقة حين

يكبرون، ويتذوّقون لذة الحياة الرحبة، المنبسطة، التلقائيّة. ولهذا كان هذا الجو العائلى الذى يدور حول سلوك الآباء أمرًا جوهريًّا فى النمو الاجتماعى للطفل، وأقصد بسلوك الآباء ذلك السلوك الذى يفصح عن مشاعرهم نحو الناس والحياة.

فقبل أن يتعلّم كيف يحب الآخرين، يجب أن يحب نفسه أولاً، فاحترامه لذاته، وتقديره إياها، عامل جوهرى فى صلته بالناس وحياته معهم.

وهناك طرق مختلفة يستطيع بها الآباء أن يساعدوا أطفالهم على أن يفهموا أنفسهم، ويقدّروها أحسن تقدير. فعن طريق الحب، ذلك الحب الذى لا يتأثر بسلوك الطفل طيبًا كان أو خبيثًا، يشعر الطفل أن له مكانة مرموقة ممتازة فى قلبى والديه، فعندما يعلم أن فى مقدوره دائمًا، أن يجد فى والديه ملاذاً، وحنانًا، وأمنًا، وحبًا مهما يكن من أمر سلوكه. فإنّه يحسّ بأهميته، ويشعر بأنّ لحياته معنى قويًّا، وإلاّ فكيف يمكن أن يكون خبيثًا غير مقبول، إذا كان أحبّ الناس إليه وأقربهم إلى نفسه يرون فيه شخصًا جميلاً مدهشًا ممتازاً.

وحين يتعلّم الطفل كيف يتقبّل نواحى قصوره وكيف يستمتع فى نواحى قوته، فإنّه بذلك يتعلّم كيف يُقدّر الآخرين، ويتقبّلهم على ما هم عليه ويحترمهم.

وفى مقدور الآباء أن يربّوا تلك الاتجاهات النفسية الصحيحة فى الطفل حين يحبونه ويتقبلونه بقبول حسن، كما هو، لا كما ينبغى أن يكون، وفى وسعهم أيضًا أن ينشئوه على تقبل الآخرين، كما هم، لا كما يجب أن يكونوا.

وحين يفهم الأطفال هذه القاعدة، وحينما يستخدمونها استخدامًا طيبًا فى علاقاتهم اليومية بالناس، يكونون قد تعلّموا أساسًا آخر من أسس النضج الاجتماعى.

الطفل يشعر ويمتص ويقلد طريقتنا نحن الكبار، فى معاملاتنا مع البائعين، وعلاقاتنا بجيراننا، وحديثنا عن زملائنا فى العمل، دون أن نشعر نحن غالبًا بهذا الأمر، فاتجاهاتنا المختلفة تلك تصبح كلها هى اتجاهاته نفسها.

وعلينا نحن الآباء أن نكون متسامحين عادلين، حتى نضع أمام أطفالنا نموذجًا صالحًا ليحتذوه.

ولحبّنا أثره القوى فى تأكيد هذه الصفات الطيبة فى نفوسهم، فالأطفال المطمئنون هم السعداء فى بيوتهم، لا يلجأون إلى كبش فداء ينفسّون عن أنفسهم، ولا يصعرون خدهم للآخرين ليكسبوا بذلك مكانًا مرموقًا بين رفاقهم، ولا يسخرون من زملائهم الجدد.

أهم المراجع

1. "جون بولبى" ، **رعاية الطفل وتطور الحب**، ترجمة السيد محمد خيرى وآخرين، دار المعارف، القاهرة، 1959.

2. "روبرت شيلدز"، **الطفل فى السنوات الخمس الأولى**، ترجمة محمد مصطفى الشعبينى وآخرين، مكتبة النهضة، القاهرة.

3. زكريا الشربينى، ويسرية صادق، **تنشئة الطفل**، دار الفكر العربى القاهرة، سنة 2000.

4. سامية الساعاتى، **الثقافة والشخصية**، دار الفكر العربى، الطبعة الرابعة، القاهرة، 2002.

5. فوزية دياب، **نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة**، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002.

6. فوزية دياب، **القيم والعادات الاجتماعية**، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2003.

7. محمد عماد الدين إسماعيل، **الأطفال مرآة المجتمع**، عالم المعرفة، الكويت، 1986م.

8. Melton, G., Socialization in the Global community: Respect for the Dignity of Children, American Paychologist. 46. 1991.

9. Denham, S., Zoller, D., and Couchoud, E., Socialization of Preschoolers' Emotion Understanding. Developmental Psychology, 30, 1994.

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

سلسلة فن الحياة



د. سامية حسن الساعاتي

• الحياة حلوة حين نحياها، وفن الحياة يجعل رحلة الحياة آمنة، ومستقرة، وممتعة، يتلألأ فيها الحب، وتتألق بالمشاركة، والود، وتبادل الثقة، فن الحياة يخلق الألفة الدافئة، ويطرد برودة الاغتراب.

فن الحياة هو أن نعيش مع الاخرين لا أن نتعايش معهم، إنه نوعية الحياة، التى تهتم بالكيف لا بالكم، بالاستمتاع بالحياة، لا بجمع المال والاستمتاع بتكديسه وعده.

فن الحياة علم وتعلم، ومن خلال هذه السلسلة سوف نكشف معاً أسرار فن الحياة، بين الأزواج والزوجات، وبين الاباء والأبناء، وبين الطفل، واليافع والكبير، وبين الناس فى كافة علاقاتهم، وأدوارهم، ومواقعهم.

مشكلات أطفالنا

• إن العناية بالأطفال في السنوات الست الأولى من عمرهم تُكون القاعدة الوطيدة التي يقومَ عليها صرح نشأتهم السليمة في مراحل نموهم التالية.

ويحتاج الطفل في تدرجه في نموه إلى إشباع حاجات أساسية جسيمة، وعقلية ووجدانية، واجتماعية. وتوفر له الأسرة، وبخاصة الأم، ما يُشبع له حاجاته هذه، بالقدر الذي تستطيعه ويكون في حدود إمكانياتها، وطاقتها.

ومن المعروف أن تربية الطفل علي أسس سليمة، في ضوء احتياجاته في الست سنوات الأولى من عمره، ليست بالأمر الهيّن، وبخاصة في عصر يسوده التغير السريع، والضغوط النفسية، والهموم الاجتماعية. والكتاب يعالج موضوع تنشئة الأطفال، في سنواتهم الباكرة، ودور الوالدين في رعايتهم، وأساليب معاملتهم وكيف نمكنهم من التغلب علي بعض المشكلات التي تعترض مسار هذه التنشئة، وذلك بشكل علمي سهل ومبسط.

الناشر

